المورد

مجلة تراثية فصلية

تصدرها وزارة الثقافة والاعلام ـ دائرة الشؤون الثقافية والنشر ـ
الجمهورية العراقية
المجلد الثالث عشر ـ العدد الاول ـ ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م

WWW.ATTAWEEL.COM

أسد الدين محمد

الإفادة والاعتبار

في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر

تاليف

عبداللطيف البغدادي

دراسة وتحقيق الدكتور

علي محسن عيسى مال الله

المدرس بكلية الشريعة . جامعة بغداد

القسم الأول

المقدمة

لقد كان عهدي بعبداللطيف البغدادي وكتابه « الافادة والاعتبار » منذ السبعينات ايام الدراسة في القاهرة . وكانت لي رغبة ملحة في تحقيق هذا الاثر وقد عرضت هذه الرغبة على اساتذتي في مصر ، ثم بعدئذ على اساتذتي في بغداد فشجعوني كل التشجيع على ذلك . فحاولت ان اجمع المعلومات عن المؤلف والكتاب وجمعت ما استطعت جمعه . غير ان عملي لم يكن متصلا نظرا لمشاغل الحياة .

وفي سنة ١٩٧٩ بينما كنت اتصفح الكتب في مكتبة المثنى في بغداد جاءت مني التفاته فوجدت نص « كتاب الافادة والاعتبار » مصورا وبخط المؤلف نفسه مع ترجمة في اللغة الانكليزية للنص العربي . وقد قام بهذا العمل الفذ كل من كمال حافظ زند ، وجون آي دايفي آي فيديان ، وطبع الكتاب في لندن سنة ١٩٦٤م . الحق لقد كان هذا الكتاب مفتاحا لعملي لذلك بادرت الى الكتابة للمتحف البريطاني في لندن في ١٩٧٩/٤/١ لعل العاملين فيه يرسلون الي كلما يتعلق بامر المخطوطة وبعد شهر تقريبا تسلمت منهم كتابا في ١٩٧٩\٥\٥ وقد ارفقوا معه مقدمة الدراسة في اللغة الانكليزية مع الصفحة الاولى المصورة من كتاب الافادة والاعتبار بالنص العربي . وهو الكتاب نفسه الذي اشتريته من مكتبة المثنى .

وبعد التتبع والدراسة علمت ان مؤسس الاستشراق الانكليزي « بوكوك الاكبر » قد جلب مخطوطة « كتاب الافادة والاعتبار » وبخط المؤلف نفسه من الشرق منذ القرن السابع عشر ، واودعها في مكتبة بودلن في جامعة اكسفورد ثم ترجمها الى اللاتينية وبعدئذ نشرها « هايد » متنا وترجمة في اكسفورد سنة ١٧٠٢ هـ . ثم ظهرت الطبعة التي اعدها وايت سنة ١٧٨٩ بالاتينية مع النص العربي مطبوعا ثم ترجمة ساسي الى الفرنسية سنة ١٨١٠ م مع المحافظة على النص العربي مطبوعا . وبعد ستين ظهرت الطبعة العربية في القاهرة سنة ١٢٨٦ هـ = ١٨٦٩ م ثم نشر الكتاب نفسه سلامة موسى وسماه د. عبداللطيف البغدادي في مصر سنة ١٩٣٤ م . وفي سنة ١٩٦٤ ظهرت الترجمة الانكليزية مع النص العربي مصورا عن مخطوطة بودلن ، وعليها اعتمد الباحث في تحقيق هذا النص كما اشار في غير هذا الموضع .

اما اشهر المصادر التي عول عليها الباحث في هذه الدراسة والتحقيق هي عيون الانباء في طبقات الاطباء ولسان العرب ، والمجرد للغة الحديث ، وتاريخ الادب الجغرافي العربي ، والرحالة المسلمون في القرون الوسطى ومجلة التراث الانسانية وغيرها من المصادر .

اما التحقيق فقد عولت على المخطوطة نفسها ومن حسن الحظ انها كانت واضحة وبخط جلي . مع الاستعانة بالطبعتين المعربيتين بالرغم لما فيهما من لحن وسمين زد الى ذلك ان الباحث وجد في عملية التحقيق صعوبات جمة ذكرها في غير هذا الموضع وبعد فقد قسم عمله هذا الى بابين : ـ

الباب الاول : ويحتوي على فصلين :

الفصل الاول : تناول الباحث فيه اسم المؤلف ولقبه وكنيته واساتذته ، حله وترحاله ، مكانته العلمية ، صفاته واخلاقه ، تلامذته ، مؤلفاته ثم وفاته .

اما الفصل الثاني فقد تناول فيه الباحث اهمية كتاب

WWW.ATTAWEEL.COM

الايداع والاعتبار ، فصول الكتاب طبعاته ، المخطوطة ، وصفها ، نوعية نسبة الكتاب . ثم ختمه بـ « طريقتنا في التحقيق » .

اما الباب الثاني : فهو الكتاب المحقق ، والذي يحتوي على مقالتين المقالة الاولى تحتوي على ستة فصول ، واما المقالة الثانية فانها تحتوي على ثلاثة فصول ، وقد اولى الباحث هذه الفصول بشيء من الدراسة فلا داعي للتكرار هنا .

وبعد فهذا جهد متواضع اقدمه خدمة لامتنا العربية الاسلامية ولتراثنا الخالد . والله اسال لما فيه الخير والبركة والسداد .

عبداللطيف البغدادي(١)
٥٥٧ ـ ٦٢٩هـ
١١٦٢ ـ ١٢٣١م

أسمه ولقبه وكنيته :ـ

هو الشيخ الامام الفاضل ، موفق الدين ابو محمد عبداللطيف بن يوسف بن محمد بن علي بن ابي سعد ، ويعرف بابن اللباد ، موصلي الاصل ، بغدادي المولد ، ولذلك لقب موفق الدين بالبغدادي (٢) .

كما ان تاج الدين الكندي(٣) ، لقبه بـ « المطجن » لرقة وجهه وتجمده ، وبسه(٤) .

ولادته :

لقد ولد عبداللطيف في بغداد وهو يقول عن نفسه : ـ

اني ولدت بدار لجدي في درب الفالوذج في سنة سبع وخمسين وخمسمائة وتربيت في حجر الشيخ ابي النجيب(٥) ، لا اعرف اللعب ، واللهو ، واكثر زماني مصروف في سماع الحديث .

أساتذته :

لقد تلقى البغدادي دروسه الاولى من والده « الشيخ يوسف » الذي كان مشتغلا بعلم الحديث بارعا في علوم القرآن والقراءات ، مجيدا في المذهب والخلاف ، والاصوليين ، وكان متطرفا في العلوم العقلية .

اما عمه « سليمان » فكان فقيها مجيدا(٦) . اذن نشأ البغدادي في هذا الوسط العلمي ، وتحت كنف اب مثقف يعرف كيف يربي اولاده .

وقال البغدادي ، قال لي والدي يوما : ـ

« قد سمعتك جميع هوالي بغداد ، والحقتك في الرواية بالشيوخ المسان ، وكنت في اثناء ذلك اعلم الخط ، والحفظ القرآن ، والفصيح ، والمقامات ، وديوان المتنبي ، ونحو ذلك ومختصرا في النحو » (٧) .

ولعل اول استاذ بعد ابيه ، تلقى منه الفقه ، وعلوم الدين هو الشيخ ابو النجيب السهروردي الذي اشرت اليه .

ومن الاساتذة الذين تلقى منهم العلوم العربية ، كـ « مخطوطة الفصيح » والنحو هو ابو البركات كمال الدين الانباري » (٨) . وكان يومئذ شيخ بغداد ، وله بوالد الشيخ صحبة ايام التفقه في النظامية . غير ان موفق الدين لم يستوعب محاضرات هذا العالم الجليل في اول الامر . حيث ارسله الى تلميذه ، « الواسطي »(٩) الذي بسط للبغدادي دروس النحو ، فاستفاد صاحبنا كثيرا من هذا العالم الجليل . فكان ملازما له ولشيخه الانباري . فحفظ اللمع لابن جني ، وادب الكاتب لابن قتيبة وكثيرا من الشروح كـ « شرح الثمانين » وغيرها . ثم حفظ « مشكل القرآن » ، و « غريب القرآن » لابن الانباري ،

---

(١) انظر ترجمته في \ : ـ
عيون الانباء في طبقات الاطباء ٦٨٣ .
انباه الرواة على انباه النحاة ١٩٢/٢ .
شذرات الذهب ١٣٢\٥ لابن العماد
طبقات الشافعية الكبرى ١٦٢\٥ للسبكي .
فوات الوفيات ١٨\٢
النجوم الزاهرة ٧٦\٦
مرآة الجنان ٦٨\٤ .
بغية الوعاة ١٠٦/٢ .
كنوز الاجداد ٢٢٥
تاريخ الادب العربي لـ « بروكلمان » ٦٢٢\١ ـ ٦٢٣ ـ ٦٢٣ ، وملحقة ٨٨٠ ـ ٨٨١ .
دائرة المعارف ٦٦٩\١ « للبستاني » .
معجم المطبوعات العربية والمعربة ١٢٩٣/٢ .
الرحالة المسلمون في القرون الوسطى ٢٤٤\١ .
تاريخ الادب الجغرافي العربي ٢٤٤\١ .
الخطط الجديدة ٨٧٧٩\١٥ لعلي مبارك .
ادب الرحلات عند العرب في المشرق ١٤١ .
مجلة التراث الانسانية الجلد الاول العدد الثاني ص ١١٦ ـ ١٢٢ سنة ١٩٦٥
المجرد للغة الحديث ١٧/١ ـ ٥٨ .

(٢) عيون الانباء في طبقات الاطباء ٦٨٣ لابن ابي اصيبعة تحقيق الدكتور نزار رضا بيروت ، دار مكتبة الحياة ١٩٦٥ م .

(٣) تاج الدين الكندي : هو زيد بن الحسن بن زيد بن الحسن بن سعيد . ولد سنة ٥٢٠ هـ ، وتوفي سنة ٦١٣ . محدث نحوي لغوي شاعر ؛ انظر ترجمته في \ انباه الرواة ١٠١\٢ ، ومعجم الادباء ١٧٢\١١ .

(٤) دائرة المعارف ٦٦٨\١ للبستاني .

(٥) الشيخ ابو النجيب : الملقب بالسهروردي هو عبدالقاهر عبدالله بن محمد . كان من الصولية ، وفقيها معروفا . توفي سنة ٥٦٣ هـ . انظر ترجمته في \ طبقات الشافعية للاسنوي ٦٤\٢ ، وطبقات الشافعية الكبرى ٣١٢\٨ ، للسبكي .

(٦) عيون الانباء في طبقات الاطباء ص ٦٨٣ .

(٧) عيون الانباء في طبقات الاطباء ص ٦٨٣ .

(٨) ابو البركات كمال الدين الانباري : هو عبدالرحمن بن محمد بن محمد بن عبدالله بن ابي سعيد المولود سنة ٥١٣ هـ والمتوفى سنة ٥٧٧ هـ . كان نحويا زاهدا صنف كثيرا من الكتب . انظر ترجمته في \ انباه الرواة ١٩٦\٢ ـ ١٧١ ، والنجوم الزاهرة ٩٠\٦ .

(٩) الواسطي : هو ابو بكر المبارك بن سعيد بن الدهان النحوي ، الواسطي ، الملقب بالوجيه . كان مدرسا في النحو في النظامية . انظر ترجمته في \ البداية والنهاية ٦٩\١٣ ـ ٧٠ .

ثم انصرف الى حفظ الايضاح لابي علي النحوي فحفظه في شهور . ومن الكتب المهمة التي طالعها « كتاب المقتضب للمبرد » فاتقنه بعدئذ وكتاب ابن درستويه(١٠) وبعد وفاة الشيخ ابن الانباري انصرف صاحبنا لكتاب سيبويه ولشرحه للسيرافي » وقرأ على ابي عبيدة الكرخي كتبا كثيرة منها كتاب « الاصول لابن السراج » (١١) وكتاب « الفرائض والفرض » للخطيب التبريزي ، اما ابن الخشاب (١٢) فسمع بقراءته « معاني الزجاج » (١٣) والحديث المسلسل وهو « الراحمون يرحمهم الرحمن . ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء » (١٤) .

زد لدراسته العربية ، والنحوية ، فهو لا يغفل عن سماع الحديث والتفقه على الشيخ « ابن فضلان » (١٥) .

ومن اساتذته كذلك ـ ابو الفتح بن البطي(١٦) ، وابو زرعة المقدسي(١٧)، وشهدة ابنة بنت الابري(١٨)، وابو القاسم الوكيل (١٩) . وبعد ان فتح هؤلاء الاساتذة ابواب العلم لهذا الفتى الطموح ، راح يشمر عن ساعديه ليغترف من مناهل العلم المتعددة ، واسمعه يحدثك عن نفسه حيث يقول : ـ

وشمرت ذيل الجد والاجتهاد ، وهجرت النوم واللذات ، واكببت على كتب الغزالي المقاصد ، والمعيار ، والميزان ومحك النظر . ثم انتقلت الى كتب ابن سينا صغارها وكبارها ، وحفظت كتاب النجاة ، وكتب الشفاء ، وبحثت فيه وحصلت « كتاب التحصيل » لـ « بهمنيار » تلميذ ابن سينا ، وكتبت وحصلت كثيرا من كتب جابر بن حيان وابن وحشية (٢٠) ، وباشرت عمل الصنعة الباطلة . ونجارب الضلال الفارغة ، والقوى من اضلني ابن سينا بكتابه في الصنعة الذي تمم به فلسفته التي لا تزداد بالتمام الا نقصا » .

وقال البغدادي « ولما كان في سنة خمس وثمانين وخمسمائة حيث لم يبق ببغداد من ياخذ بقلبي ويملاء عيني (٢١) ويحل بالشكل علي » فكر صاحبنا في الرحلة لعله يجد فيها ما يشبع طموحه .

بدء الرحلة : ـ

لقد رحل البغدادي من بغداد متوجها نحو الموصل غير انه كما يدعي لم يجد فيها بغيته ولكنه وجد فيها « الكمال بن يونس » (٢٢) وكان رجلا فاضلا في الرياضيات ، والفقه ، وكان قد استغل كل وقته في حب الكيمياء ، وعملها حتى صار يستحق بكل ما عداها واجتمع الى جماعة كثيرة وعرضت علي مناصب فاخترت منها مدرسة ابن مهاجر المعلقة ، ودار الحديث التي تحتها .

واقمت بالموصل سنة في اشتغال دائم متواصل ليلا ونهارا وزعم اهل الموصل انهم لم يرو من احد قبلي ما رأوا مني . ومن سعة المحفوظ ، وسرعة ، وسكون الطائر وسمعت الناس يهرجون في حديث «الشهاب السهروردي»(٢٣) المتفلسف ويعتقدون انه فاق الاولين والاخرين، وان تصانيفه فوق تصانيف القدماء فهمت لقصده ، ثم ادركني التوفيق ، فطلبت من ابن يونس شيئا من تصانيفه وكان ايضا معتقدا فيها فوقفت على « التلويحات ، واللمحة ، والمعارج » فصادفت فيها ما يدل على جهل اهل الزمان ، ووجدت لي تعاليق كثيرة لا ارتضيها هي خير من كلام هذا الانوك » (٢٤) . قلت لقد مكث البغدادي في الموصل سنة كاملة وشرع في تاليف بعض الكتب غير انه كما يبدو لم تسعه الموصل فوجه مطيته صوب دمشق لعله يجد فيها

---

(١٠) ابن درستويه : هو عبدالله بن جعفر بن محمد بن درستويه من علماء اللغة انظر ترجمته في / بغية الوعاة ٢٦/٢ وابن النديم ٩٢ .

(١١) ابن السراج : هو ابو بكر محمد احد ائمة النحو المشهورين واليه انتهت الرياسة بعد المبرد . انظر ترجمته في / نزهة الالباء ٢٤٩ وبغية الوعاة ١٠٩/١ .

(١٢) ابن الخشاب : هو عبدالله بن احمد . كان اعلم زمانه بالنحو ثقة صدوق . انظر ترجمته في \ معجم الادباء ٤٧\١٢ ؛ وهدية العارفين ٤٥٥\١ .

(١٣) الزجاج : هو ابو اسحاق ابراهيم بن السري بن سهل الزجاج . كان من اكابر اهل العربية . الف معاني القرآن . انظر ترجمته في \ نزهة الالبا ص ٢٤٤ ، وانباه الرواة ١٥٩\١ .

(١٤) عيون الانباء في طبقات الاطباء ص ٦٨٥ .

(١٥) ابن فضلان : هو واثق بن علي بن الفضل ، وقيل اسمه يحيى فغيره الوزير هبيرة لئلا يلتبس باسم الخليفة الواثق . من ائمة الفقهاء . انظر ترجمته في \ المجرد للفة الحديث ٢٣/١ ؛ وطبقات الشافعية للسبكي ٣٥\٤ .

(١٦) ابو الفتح بن البطي : هو محمد بن عبدالباقي . سند العراق . كان دنيا خفيفا انظر ترجمته في \ شذرات الذهب ٢١٣\٤ ، وانباه الرواة ١٩٤\٢ .

(١٧) ابو زرعة المقدسي : هو طاهر بن محمد ، ولد سنة ٤٠٧ هـ انظر ترجمته في \ شذرات الذهب ٢١٧\٤ ، وانباه الرواة ١٩٤\٢ .

(١٨) شهدة ابنة بنت الابري : هي مسندة العراق وفخر النساء توفيت سنة ٥٧٤ هـ انظر ترجمتها في \ المشتبه في اسماء الرجال ٤٠١\٢ للذهبي ؛ والمجرد للفة الحديث ٢٣\١ .

(١٩) ابو القاسم الوكيل : هو يحيى بن ثابت بن بنوار . كان مقرئا . توفي سنة ٥٦٦ هـ انظر ترجمته في \ تكملة اكمال الاكمال ص ٢٨٠ لابن النابوني والمجرد للفة الحديث ٢٤\١ .

(٢٠) ابن وحشية : هو احمد النبطي . كان على جانب عظيم من العلم ، وله مؤلفات عديدة في الكيمياء والعلوم الخفية . انظر ترجمته في \ عيون الانباء في طبقات الاطباء ص ٦٨٥ هامش (٧) .

(٢١) عيون الانباء في طبقات الاطباء ص ٦٨٦ .

(٢٢) الكمال بن يونس : هو ابو عمران موسى بن ابي الفضل يونس بن محمد الموصلي فقيه ، حكيم ، رياضي ، مفسر ، طبيب ، فلكي ولد سنة ٥٥٠ هـ وتوفي سنة ٦٣٩ هـ .
انظر ترجمته في \ عيون الانباء في طبقات الاطباء ص ٦١٠ والمجرد للفة الحديث ٢٥\١ .

(٢٣) هو عمر بن محمد بن عبدالله بن محمد القرشي السهروردي ، كان جامعا للفنون الفلسفية ، بارعا في الاصول ، مفرطا في الذكاء . انظر ترجمته في \ عيون الانباء في طبقات الاطباء ص ٦٤١ .

(٢٤) عيون الانباء في طبقات الاطباء ص ٦٨٦ .

المنشودة هناك . وفي دمشق وجد من العلماء « جمال الدين عبداللطيف (٢٥) ، ولد الشيخ ابي النجيب (٢٦) ، والكندي البغدادي النحوي (٢٧) والشيخ عبدالله بن نائلي (٢٨) نازلا بالمأذنة الغربية ، وكذلك الخطيب الدولعي(٢٩) وعماد الدين الكاتب (٣٠ . وقد اجرى البغدادي مع هؤلاء العلماء مباحثات ومحاورات يدعي انه بزهم فيها (٣١) .

وفي دمشق انصرف البغدادي الى التاليف فالف تصانيف جمة ، منها غريب الحديث الكبير ، وسريب الخطابي ، وكان قد ابتدا به في الموصل(٣٢) . ولا يريد الباحث في هذا الموضع ان يتطرق الى مؤلفات هذا العالم . وانما سيفرد لها جانبا خاصا بها .

ومن دمشق توجه البغدادي الى زيارة القدس ثم الى صلاح الدين بظاهر عكا ويقول : ـ فاجتمعت ببهاء الدين بن شداد قاضي العسكر يومئذ ، وب عماد الكاتب ـ المشار اليه ـ ثم ذهبنا معا الى القاضي الفاضل ، فدخلنا عليه ، فرايت شيخا ضئيلا كله راس وقلب وقد امتحنني في بعض المسائل، ويبدو ان البغدادي جاوبه على تلك المسائل. ثم قال له القاضي الفاضل ، ترجع الى دمشق وتجري عليك الجرايات، فقال له لابد من مصر. فكتب اليه القاضي الفاضل ورقة صغيرة الى وكيله هناك (٣٣) .

فوجه البغدادي مطيته الى ارض الكنانة وفي ذلك يقول :

« فلما دخلت القاهرة جاءني وكيله وهو ابن سناء الملك ، وكان (٣٤) شيخا جليل القدر ، نافذ الامر ، وقد اكرم

(٢٥) جمال الدين عبداللطيف : والمسمى ابن اللباد ، مشهور بعلم الكلام والفلسفة ، والطب ، والتنجيم . انظر ترجمته في / عيون الانباء في طبقات الاطباء ص ٦٨٦ هامش (٢) .

(٢٦) مرت ترجمته في ص (٤) .

(٢٧) مرت ترجمته في ص (٤) .

(٢٨) الشيخ عبدالله بن نائلي ، كان رجلا عالما وكان له شان في الكيمياء والفلسفة انظر ترجمته في \ عيون الانباء في طبقات الاطباء ص ٦٨٦ .

(٢٩) الخطيب الدولعي : هو ابو القاسم عبدالملك بن زيد بن ياسين الفقيه الخطيب المتوفى سنة ٥٩٨ هـ بدمشق . انظر ترجمته في \مراة الجنان ٨\٥١١ ، والمجرد للفة الحديث ١\٢٧ .

(٣٠) عماد الدين الكاتب : هو ابو عبدالله الكاتب الاصبهاني المعروف ولد باصبهان سنة ٥١٩ هـ . اتقن النحو ، والادب توفي سنة ٥٩٧ هـ . انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٢\١٣٧ ، والمجرد للفة الحديث ١\٢٧ .

(٣١) عيون الانباء في طبقات الاطباء ص ٦٨٦ .

(٣٢) المصدر نفسه ، والصفحة نفسها .

(٣٣) المصدر نفسه ص ٦٨٧ .

(٣٤) ابن سناء الملك : هو ابو القاسم القاضي السعيد هبة الله بن القاضي الرشيد جعفر بن المعتمد سناء الملك. شاعر فذ ، جمع بين الشعر واللغة والفقه ، وعلوم الدين ، انظر ترجمته في \ معجم الادباء ١٩\٢٦٥ ، وابن سناء الملك حياته وشعره ١\٤٣ ـ ٤٤ .

البغدادي في ربوع القاهرة . فانزل في مسجد الحاجب لؤلؤ(٣٥) ويذكر البغدادي ان قصده من هذه الزيارة مقابلة ثلاثة رجال وهم ياسين السيمياني (٣٦) ، والرئيس موسى بن ميمون (٣٧) ، وابو القاسم الشارعي (٣٨) . وكلهم جاوره وقد اجرى البغدادي مع الاخير محادثات ومحاورات ، فركن اليه وانس به ، حتى صارت بينهما الفة وصداقة . غير ان البغدادي رجع الى القدس ليلتقي بصلاح الدين الايوبي ، ونجد الاخير يعين الشيخ في ديوان الجامع الاموي ويقدر له راتبا مقداره ثلاثون دينارا في الشهر . واطلق اولاده هذا الراتب حتى وصل الى مائة دينار في الشهر (٣٩) .

ولما استقر بدمشق انصرف الى التدريس والتاليف غير ان القدر لم يمهله طويلا في دمشق حيث حدث حادث جلل هو موت صلاح الدين الايوبي . الامر الذي دعا البغدادي ان يعود مرة اخرى الى مصر ، وان يستقر في القاهرة ، حيث لازم الجامع الازهر يدرس الناس « وله الرتب والجرايات من اولاد الملك الناصر صلاح الدين واتى الى مصر ذلك الغلاء العظيم، والموتان الذي لم يشاهد مثله . والف الشيخ موفق الدين كتابا سماه « كتاب الافادة والاعتبار في الامور المشاهدة والحوادث المعاينة بارض مصر » (٤٠) الذي عملنا على تحقيقه ، وسيقدم الباحث دراسة متواضعة له .

ولما ساءت الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية في مصر . اضطر البغدادي ان يذهب الى القدس مرة ثالثة . حيث اقام بها مدة وكان يتردد الى الجامع الاقصى ويشتغل الناس اليه بكثير من العلوم ، وصنف هناك كتبا كثيرة . ثم انه توجه الى دمشق مرة ثالثة . ونزل باحدى مدارسها ، وذلك في سنة اربع وستمائة وشرع في التدريس والاشتغال وكان يأتيه خلق كثير يشتغلون عليه ، ويقراون اصنافا من العلوم ، وفي هذه الفترة تميز البغدادي في صناعة الطب . صنف في هذا الفن كتبا كثيرة وعرف به ، واما قبل ذلك فانما كانت شهرته بعلم النحو ، واقام بدمشق مدة وانتفع الناس به ثم سافر الى حلب وقصد بلاد الروم واقام بها سنين كثيرة (٤١) . وبعض المصادر تشير الى انه رحل الى « منغوليا »(٤٢) في سنة ٦٢٥هـ

(٣٥) لؤلؤ : احد الحجاب بالديار المصرية ، ومن اكابر الامراء في ايام صلاح الدين الايوبي توفي سنة ٥٩٧ هـ . انظر ترجمته في \ البداية والنهاية ١٢\٢٣ ، والمجرد للفة الحديث ١\٢٨ .

(٣٦) ياسين السيمياني : عالم من علماء الكيمياء في مصر . انظر ترجمته في / عيون الانباء في طبقات الاطباء ص ٦٨٧ .

(٣٧) موسى بن ميمون : هو الرئيس ابو عمران موسى بن ميمون القرطبي ، يهودي عالم بسنن اليهود ، وهو اوحد زمانه في صناعة الطب . انظر ترجمته في \ عيون الانباء في طبقات الاطباء ص ٥٨٢ .

(٣٨) ابو القاسم الشارعي : عالم من العلماء سيرته سيرة الحكماء العلماء لم يشغله شيء عن طلب الفضيلة . انظر ترجمته في \ عيون الانباء في طبقات الاطباء ص ٦٨٨ .

(٣٩) عيون الانباء في طبقات الاطباء ص ٦٨٨ .

(٤٠) عيون الانباء في طبقات الاطباء ص ٦٨٩ .

(٤١) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(٤٢) الموسوعة الميسرة ص ٣٨٤ .

ورجع منها الى حلب مرة اخرى وبدا التدريس فيها ، والناس يقبلون عليه ، وكان دائم الاشتغال ملازما للكتابة والتصانيف وبعد ذلك فانه قد عزم ان يأتي الى دمشق ويقيم بها ، ثم خطر له قبل ذلك ان يحج ويجعل طريقه على بغداد ، وان يقدم للخليفة « المستنصر بالله » (٤٢) اشياء من تصانيفه ، ولما وصل الى بغداد مرض اثناء ذلك ، فلبى نداء ربه في يوم الاحد ثاني عشر المحرم سنة تسع وعشرين وستمائة ، ودفن بالوردية ، بجوار قبر ابيه ، بعد ان غاب عن بغداد خمسا واربعين سنة (٤٤) .

مكانته العلمية :

مما لا ريب فيه ان البغدادي يحتل مكانة علمية مرموقة ، وقبل ان يستطرد الباحث في الكلام يحاول ان يشير الى اهم المصادر التي تناولت حياة هذا الرجل ، ولعل اهم مصدر عولنا عليه في هذه الدراسة المتواضعة هو « عيون الانباء في طبقات الاطباء » الذي كان معاصرا للبغدادي ، فقد قال عنه :

« كان مشهورا بالعلوم ، متحليا بالفضائل ، مليح العبارة ، كثير التصنيف ، وكان متميزا في النحو ، واللغة العربية ، عارفا بعلم الكلام والطب . وكان قد اعتنى كثيرا بصناعة الطب لما كان بدمشق ، واشتهر بعلمها » (٤٥) .

وقال ابن النجار (٤٦) ـ وكان معاصرا هو الاخر ـ للبغدادي : ـ

« وقرا النحو على عبدالرحمن الانباري ، والوجيه ابي بكر حتى برع فيه ، وتميز على اقرانه ، وقرا على الطب حتى احكمه ، وكان يكتب خطا مليحا . وسافر الى الشام ، ودخل ديار مصر ولقي هناك قبولا كثيرا ، وقرا على الناس الادب ، والطب، ورويت اكثر مسموعاته مرارا كثيرة وكان غزير الفضل، كامل العقل ، حسن الاخلاق ، متواضعا محبا للعلم واهله . لقيته بدمشق في رحلتي الثانية اليها وكتبت عنه وكان صدوقا (٤٧) .

ووصفه كراتشكوفسكي بقوله « لم يكن عالما لغويا في الاصل بل عالما بيولوجيا (٤٨) .... وكان عبداللطيف رجلا جم المعرفة ضاربا في جميع فروع العلم بسهم ، كما كان عالما دقيق الملاحظة . فهو بهذا يمثل طراز العالم المحقق يتوق الى المعرفة الايجابية مع ميل واضح الى التجربة العلمية »(٤٩) .

ويصفه محمد كرد علي بقوله :

« هذا عالم ندر ان يتسع صدر رجل ما اتسع له صدره من ضروب العلم والاداب ، وانه كان يعرف جميع العلوم المدونة في عصره » (٥٠) .

ويصفه محمد عبدالله عنان بصدد مشاهدات البغدادي في مصر بقوله :

« ومن ثم كانت نفاسة الصور التي يتركها لنا علامة بغداد ورحالتها عن مصر في فاتحة القرن الثالث عشر الميلادي (٥١) ، ومن المؤرخين الذين اشاروا الى البغدادي الدكتور فيليب حتى حيث قال عنه ذلك « العالم العراقي البارع والقريحة المنتجة عبداللطف البغدادي الذي ترك في وصف مصر رسالة وجيزة تعد في طليعة المؤلفات الطبوغرافية(٥٢) في العصور الوسطى (٥٣) .

ويصفه عالم معاصر جليل هو الدكتور عبدالحليم منتصر بقوله :

والبغدادي عالم الا انه اديب ، واديب الا انه عالم ، وكان الى جانب ذلك نباتيا وطبيبا ، ورحالة عظيما ، تلحظ ذلك جميعا في اسلوبه ، وكتابته ، وطريقة العرض وبراعة الاستقراء ، ولطف المدخل ، وجمال التنسيق (٥٤) .

ومما قيل فيه انه « اديب فاضل له معرفة بالنحو واللغة وعلم الكلام الطب والادب وبرع فيهما » .

ووصفه الذهبي بما يشبه ذلك فقال « كان احد الاذكياء البارعين في اللغة والادب والطب علم الاوائل » . وكان البغدادي جوالا محبا للرحلة في طب العلم ولعل كثيرا من كتبه التي الفها كانت نتاجا لذلك ولعل اهمها في هذا المجال كتابه « الافادة والاعتبار » الذي الباحث في صدد دراسته وتحقيقه .

واشتهر البغدادي محدثا لسنا جيد العبارة . والبغدادي بعد هذا وذلك لم تفته الحكمة والموعظة (٥٥) . حيث جاءت تجاربه التي اصقلته وجعلت منه عالما فاضلا له باع عريض في مختلف العلوم والفنون اقول جاءت حكمته في عبارة سلسلة

---

(٤٢) الخليفة المستنصر بالله : هو منصور بن محمد ، خليفة عباسي وهو باني المدرسة المستنصرية ولد ٥٨٨ هـ في بغداد وتوفي سنة ٦٤٠ ودفن بها . انظر ترجمته في \ الكامل لابن الاثير ١٢\١٧٧ والمختصر لابي الفداء ٣\١٧١ .

(٤٤) عيون الانباء في طبقات الاطباء ص ٦٩٠ ـ ٦٩١ .

(٤٥) عيون الانباء في طبقات الاطباء ص ٦٨٣ .

(٤٦) ابن النجار : هو محمد بن محمود بن الحسن بن هبة الله بن محاسن ابو عبدالله محب الدين ابن النجار. مؤرخ . حافظ للحديث من اهل بغداد ولد سنة ٥٧٨ في بغداد ، وتوفي فيها سنة ٦٤٣ هـ .
انظر ترجمته في \ شذرات الذهب ٥\٢٢٦ ، وآداب اللغة ٣\٦٩ .

(٤٧) انباه الرواة ٢\١٩٦ هامش (١) .

(٤٨) البيولوجيا : علم الحياة .

(٤٩) تاريخ الادب الجغرافي العربي ١\٢٤٤ ـ ٢٤٥ .

(٥٠) كنوز الاجداد ص ٢٢٥ .

(٥١) مصر الاسلامية وتاريخ الخطط المصرية ص ١٤٠ .

(٥٢) الطوبوغرافية : الوصف التفصيلي ـ خصوصا على الخريطة ـ للمكان بما في ذلك تضاريسه واي ظاهرات دائمة نسبيا سواء كانت طبيعية ام من صنع الانسان . وقد يطلق الاصطلاح خطأ احيانا كمرادف لكلمة جغرافية. انظر \ معجم المصطلحات الجغرافية ٢٥ ـ ٣٢ .

(٥٣) تاريخ العرب مطول ٢\٧٨٢ .

(٥٤) مجلة تراث الانسانية المجلد الاول سنة ٦٣ ـ ص ١١٧ من بحث بعنوان « الافادة والاعتبار في الامور المشاهدة والاحوال المعاينة في ارض » لعبداللطيف البغدادي بقلم الدكتور عبدالحليم منتصر .

(٥٥) المجرد لغة الحديث ١\٣ .

واسلوب جميل يستهوي النفس ويدخل الى القلب بدون استئذان ومن اراد الاطلاع فدونه عيون الانباء في طبقات الاطباء (٥٦) لابن ابي اصيبعة .

واذا كان القدماء قد قوموا الرجل واشادوا بفضله وسعة اطلاعه فالمحدثون لا يقلون اهمية في هذا المجال . فقد وصفه احد الكتاب بصدد الكلام عن كتابه « الافادة والاعتبار » والحق انها تمتاز على اختصارها بصدق الوصف وذكر مختلف الشؤون العمرانية والاجتماعية فضلا عن الاتجاه العلمي المنتظر من طبيب مثل البغدادي ... والحق ان البغدادي كان دقيق الملاحة في كل ما دونه في رحلته (٥٧) . اذن كان البغدادي عالما في كتابته دقيقا في ملاحظته .

ويذكر عباس العزاوي بان البغدادي كان فريد عصره واستمع اليه اذ يقول :

ولبغداد ان تفخر به في سعة علمه وحكمته وطبه ولغته ونحوه وفي كلها بز الاقران وفاق اهل الزمان ، فكان لا يضارعه نظير ولا يشاكله مثيل .... وانه بحق ان ينعت بانه وحيد دهره ، وفريد عصره باستحقاق وكفاءة (٥٨) .

ويستمر في حديثه عن البغدادي حتى يقول :

« وان كانت مؤلفاته ضاعت او هلكت او كانت لا تزال في زوايا النسيان فلا شك ان المنقول عنه عينا — او الموجود فعلا — يجعلنا نقطع في انه من اكابر المؤرخين وانه خلد تاريخ العراق ، والمغول في صفحات كانت غامضة (٥٩) .

وخلاصة القول في هذا الرجل انه كان عالما جليلا دؤوبا على الدرس والتتبع ، لذلك استطاع ان يستوعب اغلب علوم عصره ، ولما كملت ادواته تصدر للكتابة والتاليف مما يظهر ذكاءه وسعة اطلاعه .

صفاته واخلاقه :

قال ابن ابي اصيبعة : —

« ورايته لما كان مقيما بدمشق في آخر مرة اتى اليها وهو شيخ نحيف الجسم مربع القامة ، حسن الكلام ، جيد العبارة ، وكانت مسطرته ابلغ من لفظه (٦٠) .

وسبق ان اشرت الى انه لقب بـ « الطجن » وذلك لتجعد وجهه ويبسه ، وقلة لحمه (٦١) ولا يقاس المرء بشكله وجماله وانما يقاس باخلاقه ، ونتاجه ، وافادته ، الى المجتمع الذي يعيش فيه .

قال المتنبي :

وما الحسن في وجه الفتى شرفا له
اذا لم يكن في فعله والخلائق

اما اخلاقه فقد وصفه ابن ابي اصيبعة بقوله انه كان منحليا بالفضائل (٦٢) ، ونهج نهجه ابن النجار ، فقال : —

كان غزير الفضل ، كامل العقل ، حسن الاخلاق ، متواضعا محبا للعلم واهله ، وكان صدوقا (٦٣) ، وقد اشرت الى ذلك في غير هذا الموضع .

ومن دراستي لهذا العالم الجليل رايته على حد قول احدهم انه قد « تجاوز في الكلام لكثرة ما يرى في نفسه . وكان يتنقص الفضلاء الذين في زمانه ، وكثيرا من المتقدمين ، وكان وقوعه كثيرا جدا في علماء العجم ، ومصنفاتهم ، وخصوصا الشيخ الرئيس ابن سينا ونظرائه(٦٤) « ومن تطرق الى هذا المعنى ابن العماد فذكر انه كان احد الاذكياء البارعين في اللغة والاداب والطب وعلم الاوائل . لكن كثرة دعاويه ازرت به » (٦٥) .

وكان يلمز حتى اساتذته ، فقد حمله والده الى « ابن الانباري » هذا العالم الفذ ليقرا عليه النحو ، ولما قرأ عليه « خطبة الفصيح » لم يفهمها البغدادي فقال الاخير « فهذر كلاما — يقصد ابن الانباري — كثيرا لم افهم منه شيئا .

وعندما جاء عالمنا الى الموصل قال « واقمت بالموصل سنة في اشتغال دائم متواصل ليلا ونهارا . وزعم اهل الموصل انهم لم يروا احدا من قبلي ما رأوا مني من سعة المحفوظ» ... وسمعت الناس يهرجون في حديث « الشهاب السهروردي » المتفلسف ويعتقدون انه قد فاق الاولين والاخرين « وان تصانيفه فوق تصانيف القدماء » فوقفت عليها . فصادفت فيها ما يدل على جهل اهل الزمان . وان لي تعاليق كثيرة كنت لا ارتضيها وهي خير من كلام هذا الانوك (٦٧) . وعندما يرحل الى دمشق يلتقي بالعالم النحوي الكندي البغدادي فيقول عنه « كان معجبا بنفسه مؤذيا لجليسه ، وجرت بيننا مباحثات فاظهرني الله تعالى عليه في مسائل كثيرة . ويلتقي بشيخ اخر وهو الشيخ عبدالله بن نائلي — ويحاوره ثم يقول عنه انه كان يسالني عن اعمال اعتقد انها خسيسة فيعظمها ويحتفل بها — وكاشفته فلم اجده كما كان في نفسي ، فساء به ظني وبطريقته » . ويذهب الى القدس ويلتقي بالقاضي الفاضل فذكره بخير وقال عنه « فدخلنا عليه فرايت شيخا ضئيلا كله راس وقلب » ولم يلمزه بشيء وربما يكون علة ذلك تلك الورقة الصغيرة او قل التوصية التي ارسلها القاضي الفاضل الى ابن سناء الملك وكيله في القاهرة بوصية بالبغدادي خيرا . ويرحل البغدادي من القدس الى مصر وكان يقول (قصدي في مصر ثلاثة رجال — ياسين السيميائي — والرئيس موسى بن ميمون — وابو القاسم الشارعي .

فاما ياسين السيميائي في نظر البغدادي ، فكذاب ومشعوذ . واما موسى بن ميمون فوجده فاضلا غير انه قد غلبت عليه حب الرياسة وخدمة ارباب الدنيا وان البغدادي

---

(٥٦) عيون الانباء في طبقات الاطباء ص ٦٩١ — ٦٩٣ .
(٥٧) الرحالة المسلمون في العصور الوسطى ص ١١١ ، ١١٣ .
(٥٨) التعريف بالمؤرخين ص ٢٣ بغداد سنة ١٣٧٦ — ١٩٥٧ .
(٥٩) المصدر نفسه والصفحة نفسها .
(٦٠) عيون الانباء في طبقات الاطباء ص ٦٨٣ .
(٦١) المجرد للغة الحديث ١\٣٢ .
(٦٢) عيون الانباء في طبقات الاطباء ص ٦٨٣ .
(٦٣) انباه الرواة ٢\١٩٦ هامش (١) .
(٦٤) عيون الانباء في طبقات الاطباء ص ٦٨٣ .
(٦٥) شذرات الذهب ٥\١٢٢ ، القاهرة سنة ١٣٥١ هـ .
(٦٦) عيون الانباء في طبقات الاطباء ص ٦٨٣ .
(٦٧) عيون الانباء في طبقات الاطباء ص ٦٨٦ .

وقف على كتاب من كتب موسى . وان هذا الكتاب يفسد اصول الشرائع والعقائد .

واما ابو القاسم الشارعي ، فوجده البغدادي ـ كما نشتهي الانفس وتلذ الاعين سيرته سيرة الحكماء العقلاء .. وقال واذا تفاوضنا الحديث اغلبه بقوة الجدل وفضل اللسن، ويغلبني بقوة الحجة وظهور المحجة . وانا لا تلين فتاة لغمزه ولا احيد عن جادة الهوى والتعصب برمزه(٦٨) .

ويقول البغدادي بعد ذلك « وافوى من اضلني ابن سينا بكتابه في الصنعة الذي نمم به فلسفته التي لا تزداد بالتمام الا نقصا (٦٩) . ويقول في مكان آخر « كن اكثر الناس انما هلكوا بكتب ابن سينا وبالكيمياء »(٧٠) .

والباحث يستغرب عندما يرى هذه المفارقات عند البغدادي ذلك العالم الجليل . فهو ينعت استاذه ابن ـ الانباري ـ بانه مهذار فلا يستطيع ان يتابع دروسه ـ وابن الانباري غني عن التعريف وعن الفضل .

ثم ان البغدادي ـ ينعت ـ الشهاب السهروردي ـ بالانوك الاحمق ـ والشهاب السهروردي كما يصفه ابن ابي اصيبعة كان جامعا للفنون الفلسفية ، بارعا في الاصول مفرطا في الذكاء » (٧١) .

والبغدادي ينعت ـ ابن سينا ـ بانه افوى من اضله عن جادة الصواب وان كثيرا من الناس قد هلكوا بكتب ابن سينا ، وابن ابي اصيبعة يصف ابن سينا بقوله :

« الشيخ الرئيس ابن سينا كان اشهر من ان يذكر ، وفضائله اظهر من ان تسطر (٧٢) ، كان فريدا من نوعه ، فذا في جميع العلوم والفنون ، وهو الذي فتق الاذهان وفتح اكمام العقول . ايقال عنه انه افسد العقول وهلك الناس بكتبه ؟ يا للعجب العجاب ويا للمفارقات .. (٧٣)

وكما قلت عن هؤلاء الاعلام الذين اشرت اليهم يقال عن الاخرين الذين لزهم البغدادي بشيء من الازدراء .

لقد نعت القفطي (٧٤) هذا الرجل العالم بنعوت ظالمة وتحامل عليه بما ليس فيه وهذا جور وتعسف او قل خروج عن جادة الحق الذي ينبغي ان يلتزم به العالم عندما يكتب وعندما يؤرخ ليصيب كبد الحقيقة التي يتوخاها الجميع .

هذه ملاحظات سجلها الباحث على هذا الرجل الفذ وهو مستغرب كل الغرابة في لزه الذي يترفع عنه العلماء امثال البغدادي وغيره .

---

(٦٨) عيون الانباء في طبقات الاطباء ص ٦٨٨ .
(٦٩) نفس المصدر ص ٦٨٥ .
(٧٠) نفس المصدر ص ٦٨٨ .
(٧١) نفس المصدر ص ٦٤١ .
(٧٢) عيون الانباء في طبقات الاطباء ص ٤٢٧ .
(٧٣) من اراد ان يعرف المزيد عن ابن سينا فليقرأ . عيون الانباء في طبقات الاطباء من ص ٤٢٧ ـ ٤٥٩ .
(٧٤) انباه الرواة على انباه النحاة ١٩٢\٢ ـ ١٩٧ .

اهمية الكتاب :

كتاب الافادة والاعتبار في الامور المشاهدة والحوادث المعاينة يارض مصر الف البغدادي هذا الكتاب في القاهرة حيث قال هو نفسه :ـ

« كتبه مؤلفه الفقير الى الله تعالى عبداللطيف بن يوسف ابن محمد البغدادي في رمضان سنة ستمائة بالقاهرة »(٨٢) وتشير بعض المصادر الى انه اتم تهذيبه بيت المقدس سنة ٦٠٢ ورفعه الى احد خلفاء صلاح الدين الايوبي وظل هذا الكتاب الخالد طي النسيان ، وبعد جهد جهيد تعرف الاستشراب الاوربي على هذا الاثر مبكرا واولاه اهتماما جديرا به منذ الخطوات الاولى في تاريخ تطوره . فمنذ القرن السابع عشر جلب مؤسس الاستشراب الانجليزي « بوكوك الاكبر » (٨٥) E. Pococke مخطوطة قديمة جدا من الشرق وترجمها الى اللاتينية ثم نشرها توماس هايد (٨٦) متنا وترجمة في اكسفورد سنة ١٧٠٢ م (٨٧) . ثم ظهرت الطبعة التي اعدها وايت عام ١٧٨٩ م (٨٨) . اللغة اللاتينية ، ولاهمية الكتاب اعيد متنه مرة ثانية للكاتب نفسه وعنها ترجم الكتاب مرتين الى الالمانية مرة ومرة الى اللاتينية كما نشر وترجمت معه سيرة عبداللطيف البغدادي لابن ابي اصيبعه ولم يلبث ان توج هذا المجهود في آخر الامر بظهور ترجمة علمية مصحوبة بالشروح والتعليقات باللغة الفرنسية مع النص العربي لسلفستردي ساسي(٨٩) سنة ١٨١٠ م اعني بذلك بحثه المشهور
"Relation d'Egypte"

---

(٨٢) الافادة والاعتبار ص ١٨٥ من هذا التحقيق .
(٨٤) تاريخ الادب الجغرافي العربي ٢٤٥\١ .
والخطط التوفيقية الجديدة ٨٦\١٥ . لعلي مبارك . مصر . سنة ١٣٠٥ هـ .
(٨٥) ادوارد بوكوك الاب ـ ١٦٠٤ ـ ١٦٩١ م ـ
E. Pococke
مستشرق انكليزي تعلم العربية على بازور الالماني . جمع كثير من المخطوطات العربية منها « كتاب الافادة والاعتبار » نال شهادة الماجستير في الاداب سنة ١٦٢٨ م. انظر ترجمته في \ المستشرقون ٤٦٧\٢ ـ ٤٦٨ .
(٨٦) هايد : هو توماس هايد Hyd - Th.
ولد سنة ١٦٣٦ ـ ١٧٠٣م تخرج من كلية الملك في كمبرج، اتقن العربية ، وعين استاذا في جامعة اكسفورد وكان امينا للمكتبة البودليسة انظر ترجمته في \ المستشرقون ٤٦٩\٢ .
(٨٧) المستشرقون ٤٦٩/٢ لنجيب العقيقي ، دار المعارف مصر ١٩٦٥ .
(٨٨) وايت : هو جوزيف وايت J. White سنة ١٧٤٦ ـ ١٨١٤م تخرج من اكسفورد وعين استاذا للعربية فيها من آثاره نشر كتاب الافادة والاعتبار . انظر ترجمته في \ المستشرقون ٤٧٥\٢ .
(٨٩) سلفستر دي ساسي من سنة ١٧٥٨ ـ ١٨٣٨ م .
هو انطوان ايزاك سلفستر دي ساسي Antoine Isaac Silvestre Sacy مستشرق فرنسي مولده ووفاته بباريس ، كان واسع الاطلاق . تعلم اللاتينية واليونانية

الوقت للكتاب العرب أن يقولوا شيئا عن هذا الاثر . لذلك وبعدما تناوله الغربيون بشيء من الدراسة كما اسلفت ان تسربت عدوى طباعته فطبع عن « طبعة ساسي » في مصر مرتين في مطبعه وادي النيل مرة في سنة ١٢٨٦ هـ = ١٨٦٩ م ومرة في مطبعة المجلة الجديدة في مصر كذلك سنة ١٩٣٤م واشرف على طبعه سلامة موسى وسماه عبداللطيف البغدادي في مصر وتناوله فقال :

نشرنا هذا الكتاب لجملة اسباب منها انه يصف حالة مصر في عصر صلاح الدين الايوبي ومنها اننا اردنا ان نضيف الى المؤلفات التي نهديها الى المشتركين بالمجلة الجديدة مؤلفا قديما يصل بين الثقافتين القديمة والحديثة . واسلوب عبداللطيف من ارق الاساليب ، وله افكار عصرية غربية ورغبة في الدقة ونزوع الى التحقيق العلمي (٩٠) . ثم تناوله محمد عبدالله عنان بشيء من التقويم حتى ذكر عن هذه الرحلة مشاهدات تسمو كثيرا فوق الرواية والمشاهدات العادية لانها ثمرة عقلية علمية متينة تغلب اصول العلم الصحيح من الاساطير والرواية المجردة ومن كانت نفاسة الصور التي تركها لنا علامة بغداد ورحالتها عن مصر في فاتحة القرن الثالث عشر الهجري(٩١) . ومن الذين ادلوا بدلائهم في هذه الرحلة هو الدكتور زكي محمد حسن فذكر :

وقد ذاعت شهرة هذه الرحلة وترجمت الى بضع لغات اوربية ـ كما اسلفت ـ والحق انها تمتاز على اختصارها بدقة الوصف حيث انه وصف مختلف الشؤون العمرانية والاجتماعية والتاريخية ، الى الاتجاه العلمي المنتظر من طبيب مثل البغدادي (٩٢) .

كما تناول هذه الرحلة بشيء من التعليق الدكتور فيليب حتى فقال كما اسلفت في غير هذا الموضع ان البغدادي ترك في وصف مصر رسالة وجيزة تعد في طليعة المؤلفات الطبوغرافية في العصور الوسطى (٩٣) .

وقد تكلم عن هذه الرحلة من المستشرقين المحدثين كراتشكوفسكي بصدد التحدث عن البغدادي فذكر بانها لم تكن مؤلفا ضخما جامعا بل رسالة صغيرة عن مصر ذات اهمية جغرافية ممتازة (٩٤) . وان شخصية البغدادي تنعكس بصورة جلية في اثره المعروف لنا اكثر من غيره والذي يتصل اتصالا مباشرا بالادب الجغرافي اعني بذلك سفره الصغير عن مصر الذي عرفه العلم الاوربي منذ نهاية القرن الثامن عشر والذي يحمل عنوان « كتاب الافادة والاعتبار » (٩٥) ، وبعضهم يذهب نفس هذا المذهب فيذكر بانها هي رحلة ثقافية علمية

وآدابهما ثم انقطع الى العربية ، ونشر رحلة عبداللطيف البغدادي بالعربية مع ترجمة الفرنسية .

انظر ترجمته في / اداب اللغة العربية ١٦٢/٤ ، والاعلام ٣٦٨/١ للزركلي ، معجم المطبوعات العربية والمعربة ١٢٩٢\٢ .

(٩٠) عبداللطيف البغدادي في مصر ص ٣ .
(٩١) مصر الاسلامية وتاريخ الخطط المصرية ص ١٤٠ .
(٩٢) الرحالة المسلمون في العصور الوسطى ص ١١١ .
(٩٣) تاريخ العرب مطول ٧٨٢\٢ .
(٩٤) تاريخ الادب الجغرافي العربي ٢٤٤\١ .
(٩٥) المصدر نفسه ٣٤٥\١ .

فقد تحدث فيها البغدادي عن خواص مصر العامة ، وعن نباتاتها ، وفواكهها وحيواناتها زد الى الاثار العجيبة فيها ، وغرائب ابنيتها وطعام اهلها باسلوب العالم القدير الذي تدهشك فيه الدقة والتمحيص وتقف من خلاله عن امور الحياة في مصر الاجتماعية والعمرانية لم تكن جارية لك في حساب (٩٦) .

ومن الاراء التي هي جديرة بالاشارة هو راي الدكتور عبدالحليم منتصر عندما ما يتحدث عن هذا الاثر فيذكر بانه « كتاب صغير الحجم الا انه نفيس ، عظيم النفع ذلك هو « كتاب الافادة والاعتبار » الذي وضعه عالمنا عبداللطيف البغدادي بعد زيارته لمصر مرة بعد اخرى وكان قد نزح اليها في عهد صلاح الدين الايوبي وتنقل بين ارجائها وجاس خلالها وعاشر اهلها وخالطهم مخالطة الدارس الاديب وتعرف على بيئاتها . تعرف العالم المحنك والاديب الصافي الذهن ، المتوقد الذكاء (٩٧) ومن الباحثين من يصفه بانه « كتاب بالغ الاهمية من الناحية التاريخية ، ومنهم من يصف هذه الرحلة بانها اثر فريد في تصوير حياة الشعب المصري من الناحية الجغرافية والاجتماعية والتاريخية (٩٨) .... وهي تعد من اهم المصادر النادرة التي تزدان بها المكتبات العربية (٩٩) .

ولاهمية هذه الرحلة قد نقل منها القدامى والمحدثون نقولا كثيرة في مؤلفاتهم (١٠٠) . فقد نقل منها الذهبي في مختصره نقولا كثيرة (١٠١) كما نقل منها من المحدثين محمد عبدالله عنان في كتابه « مصر الاسلامية وتاريخ الخطط المصرية » (١٠٢) . والدكتور زكي محمد حسن في كتابه « الرحالة المسلمون في القرون الوسطى » (١٠٣) وكراتشكوفسكي في تاريخ الادب الجغرافي العربي (١٠٤) ، وابو سعد في كتابه « ادب الرحلات » (١٠٥) والدكتور عبدالحليم منتصر في مجلة التراث الانسانية (١٠٦) ، وعلي محسن مال الله في كتابه ادب

---

(٩٦) ادب الرحلات ص ١٤٠ ـ ١٤١ لاحمد (ابو سعد) ، لبنان ، بيروت ١٩٦١ .
(٩٧) مجلة تراث الانسانية المجلد الاول العدد الثاني السنة ١٩٦٢ ص ١١٧ من تحت عنوانه « الافادة والاعتبار » بقلم الدكتور عبدالحليم منتصر .
(٩٨) المجرد للغة الحديث ٤٨\١ .
(٩٩) ادب الرحلات عند العرب في الشرق نشاته وتطوره حتى نهاية القرن الثاني الهجري ص ١٥٥ ـ ١٥٦ لعلي محسن مال الله ، بغداد ١٩٧٨ .
(١٠٠) هو محمد بن احمد بن عثمان .. الذهبي شمس الدين ، حافظ ، مؤرخ ، علامة محقق له كثير من المؤلفات منها « تاريخ الاسلام الكبير » وسير النبلاء ، انظر ترجمته في \ النجوم الزاهرة ١٠١\ ـ ١٨٢ والشذرات ١٥٢\٦ .
(١٠١) انظر مختصر تاريخ الذهبي .
(١٠٢) مصر الاسلامية وتاريخ الخطط المصرية ص ١٤٠ .
(١٠٣) الرحالة المسلمون في القرون الوسطى ص ١١١ ـ ١١٦ .
(١٠٤) تاريخ الادب الجغرافي العربي ٢٤٥\١ .
(١٠٥) ادب الرحلات ص ١٤١ ـ ١٥٥ لاحمد ابو سعد .
(١٠٦) مجلة تراث الانسانية المجلد الاول العدد الثاني السنة ١٩٦٥ ـ ص ١١٩-١٢٢ .

الرحلات عند العرب نشأته وتطوره حتى نهاية القرن الثاني الهجري (١٠٧) وغيرهم كثيرون ، وبعد هذا التقويم المتواضع الذي قدمه الباحث نبت بما لا يقبل الشك ان الكتاب مهم ومهم جدا وتكمن اهميته في نظر الباحث لكونه جاء مصورا تصويرا علميا لارض الكنانة فتناول حياتها الاجتماعية والتاريخية والعمرانية فهو يشمل كلما يتعلق بمصر « باختصار » وبحجم صغير وباسلوب جيد فذ ، ولانه اظهر جوانب حضارية خالدة في هذا البلد . لذلك تناوله الاوربيون والعرب المسلمون بالنقد والدراسة والتقويم . ونظرا لذلك قام الباحث بتحقيقه كي يقدم خدمة متواضعة لامتنا العربية الاسلامية ولتراثنا العربي الخالد .

فصول الكتاب :

لقد الف البغدادي كتابه في مقالتين على حد تعبيره(١٠٨).

المقالة الاولى : وهي تحتوي على ستة فصول . ولا بد للباحث ان يتحدث عن كل فصل كي يعطي صورة واضحة جلية عنه .

الفصل الاول : ـ يحتوي على خواص مصر العامة وانها من البلدان العجيبة الاثار الغريبة الاخبار وهي واد يكتنفه جبلان شرقي وغربي .

اما نيلها ففيه صفتان الاولى انه بعيد المرمى لا نعلم في المعمورة نهرا اطول منه .

والصفة الثانية انه يزيد عند نضوب سائر الانهار ويأتي البغدادي باسباب مقنعة لهذه الظاهرة في النيل . اما مطرها في الصعيد فقليل وفي اسافلها مطر جود ثم يتطرق الى ارضها واشكال التربة وسبب خصوبتها ثم يتناول صفات الناس واشكالهم ما ينتابهم من امراض . ثم يتحدث عن ذكائهم ، وتوقد اذهانهم وخفة حركاتهم ، هذه سمات اتسموا بها وجبلوا عليها .

ثم يتحدث عن طبيعة ارضهم وطبيعة الرياح التي تمر بها، ومن هذه الرياح الرياح الجنوبية ، فانها اذا هبت عندهم في الشتاء والربيع وفيما بعد ذلك كانت باردة جدا ، ويسمونها الريسي لمرورها على ارض الريس التي في بلاد السودان ، ويعزو برودتها لمرورها على بعض البرك ، والمستنقعات(١٠٩) ، وهكذا يختتم هذا الفصل .

اما الفصل الثاني : فيتطرق الى انواع النباتات ، ويسميها بمسمياتها ، وبقدر احجامها فيقول مثلا عن الباميا « وهي ثمر بقدر ابهام اليد كانه جرا القثاء ، ويذكر الملوخية ـ الاكلة الشعبية المعروفة ـ عند المصريين ، ويسميها الاطباء اللوكية » (١١٠) .

وعندما يتحدث عن أي نوع من النباتات يتحدث وكانه ذلك الرجل المتمكن او قل المختص في علم النبات فاستمع لقوله وهو يتكلم عن اللبخ « اللبخ شجرة عظيمة مثل الاترج اذا عظم ، وورقها كورق الجوز ، ولها جنى كجنى الحماط مر اذا اكل اعطش ، واذا شرب عليه الماء يفتح البطن ، وهو من شجر الجبال » (١١١) ، وهكذا نرى هذا العالم يذكر لنا ضروبا من النباتات ، كالبلسان ، والقلقاس ، والموز ، وقد عقد مقارنة بين الموز ، والنخيل ، والقلقاس، ويرى الباحث ان يذكر شيئا من هذه المقارنة لما فيها من الاراء التي لا تتفق مع علم النبات ، حيث انها كانت موضع نقد بالنسبة الى ذوي الاختصاص .

واستمع اليه اذ يقول :

« زعموا ان شجر الموز في الاصل مركب من قلقاس ونوى نخل ، تجعل النواة في نفس القلقاسة وتغرس ثم يلاحظ ان هذا القول وان كان ساذجا لم يخل من دليل يشهد له ، فالحس يسوقه ذلك انك تجد لشجرته سعفا كسعف النخل سواء . الا انك ينبغي ان تتخيل الخوص اتصل بعضه ببعض ، وحتى صار كانه ثوب حرير اخضر قد نشرت اورافه الخضراء ترف رفا وطراءة . وكان الرطوبة اكتسبها من القلقاس والشكل اكتسبه من النخيل ، فعلى ذلك يكون القلقاس له بمنزلة المادة، والنخل بمنزلة الصورة . واما الثمر فانك تراه اعذاقا كاعذاق النخل ، قد تحمل شجرته خمسمائة موزة فصاعدا ، ويكون في منتهى العذق موزة تسمى الام . ليس فيها لحم ولا تؤكل واذا شققت وجدت مؤلفة من قشور البصل كل قشرتين منهما متقابلتان وتحت كل قشرة عند القاعدة ، زهر ابيض كزهر النارنج عدده احدى عشرة في صفين لا ينقص عن هذا العدد . ولا يزيد عن واحد الا نادرا ، وتشقق هذه القشور من تلقاء نفسها على التدريج ، ويتساقط الزهر وتعقد الموزة الصغيرة وقشر الموزة قشر رطب الا انه غليظ جدا بما اكتسبه من مادة القلقاس ، ولحمه حلو فيه تفاهة كانه رطب مع خبز . فالحلاوة من الرطب والتفاهة من القلقاس واما شكل الموزة ففي شكل الرطبة الا انها بقدر الخيارة الكبيرة تميل الى الصفرة من الرطب ، والبياض من القلقاس . ثم انك تجدها شحمة واحدة ليس فيها نوى ولا ما يرمى سوى القشرة فقط . يشترط القشر بسهولة ، واذا تاملته في ضياء القيت في وسطه حبا كثيرا اصغر من الخردل يضرب الى القشرة . شبيه بحب التين الا انه في غاية اللين فهذا كانه رسم نوى الرطب الا انه لزيادة رطوبته لان ونفرق واختلط باللحم ، وانساغ معه في الاكل (١١٢) ، ويعلق احد الباحثين على ذلك بقوله :

ما اشد اعجابي بهذا الوصف الجميل وبهذه المقارنة البارعة رغم النتيجة الخاطئة التي وصل اليها من « ان الموز مركب من قلقاس ونوى نخل . تجعل النواة في نفس القلقاس وتغرس » وطبيعي انه لو انفسح الوقت امام البغدادي واجرى هذه التجربة لاقتنع بخطأ الاستنتاج الذي ذكره . ويظهر انه احسن بذلك فقال « وهذا القول وان كان ساذجا لا يخلو من دليل يشهد له فان الحس يسوقه » وما اكثر الاستنتاجات العلمية الخاطئة التي تعتمد على المنطق دون التجربة . الا ان عبداللطيف قد اوفى على الغاية في مقارنة الطريقة بين النباتات الثلاثة والذين يعلمون مبادىء علم النبات ، يعرفون جميعا تنتمي الى فصائل ذوات الفلقة

---

(١٠٧) ادب الرحلات عند العرب في المشرق نشأته وتطوره حتى نهاية القرن الثاني الهجري ص ١٤٢ ـ ١٥٥ .
(١٠٨) انظر الافادة والاعتبار ص ٥٧ من هذا التحقيق .
(١٠٩) انظر الافادة والاعتبار ص ٦٥ من هذا التحقيق .
(١١٠) المصدر نفسه ص ٦٦ من التحقيق .
(١١١) المصدر نفسه من ٦٧ من هذا التحقيق .
(١١٢) الافادة والاعتبار ص (٨٣) من هذا التحقيق .

الواحدة ، فالموز من الفصيلة الموزية والقلقاس من القلقاسية، والنخيل من النخيلة وهذه المقارنة الطريفة بين الاوراق وهي حقا متشابهة في الشكل العام . كما ان ورقة الموز ، وورقة النخل متقاربتا الشبهة لولا ما لاحظه عبداللطيف بحق ، من انه ينبغي ان تتخيل الغوص متصلا بعضه وهذه الملاحظة الطريفة عن حلاوة الموز من البلح ، ونظافته من القلقاس ، وعن خلو الموز من النوى او ما يرمى سوى القشر وان الحب الذي به يشبه حب التين الا انه غاية في اللين كانه دسم نوى الرطب الا انه لان وتقرف وانساغ معه في الاكل انها ملاحظة جديرة بالتنويه » (١١٣) وقد ذكر الباحث هذه المقارنة ليوضح دقة الريشة التي صورتها وان البغدادي اعتمد على المنطق دون التجربة فوقع في الخطأ .

وكما تحدث البغدادي عن الموز والنخيل ، والقلقاس كذلك تحدث عن انواع الحمضيات في مصر وان لها اصنافا كثيرة لم ير مثلها بالعراق ، من ذلك اترج كبار يعز وجود مثله في بغداد ومن ذلك اترج حلو ليس فيه حماض ومن ذلك الليمون المركب وهو اصناف ايضا ، ويوجد فيه ما هو بقدر البطيخة ومن ذلك الليمون المختم وهو احمر شديد الحمرة، اقنى حمرة من النارنج شديد الاستدارة مفلطح من راسه واسفله ، مفضوح فيهما بختمين .

ومن ذلك ليمون البلسم وهو في قدر الابهام وكالبيضة المطولة ، وفيه ما هو مخروط صحيح يبتدىء من قاعدة وينتهي الى نقطة ، واما لونه وريحه ، وشحمه ، وحماضته فلا يغادر من الاترج شيئا » (١١٤) .

وهكذا يرى الباحث هذا العالم يحذو هذا الحذو في كل نبات يذكره في هذا الفصل .

اما الفصل الثالث :

فانه يتحدث عن انواع الحيوانات مبتدئا من حضانة الفراريج بالزبل فيذكر ان صناعة هذه الافراخ تتم في معامل متقنة الصنع محكمة البنيان مبنية على اسس علمية . وهي منتشرة في مصر ، في المدن والارياف وعلى نطاق واسع (١١٥) . لذلك اتخذها المصريون صناعة ومعيشة يتجر فيها ويكسب منها ، وقد اسهب الرحالة في وصف طريقة المصريين في بناء تلك المعامل واستخدام زبل البقر حتى لا يبقى فيها منفس للبخار (١١٦) . وبعد ان ينهي حديثه عن صناعة الفراريج يحدثنا عن الحمير فيذكر : ـ

ان الحمير بمصر فارهة جدا وتركب بالسروج مع الخيل والبغال النفيسة ولعلها تسبقها وهي مع ذلك كثيرة العدد ، ومنها ما هو غال بحيث اذا ركب بسرج اختلط مع البغلات . بمركبة ، رؤساء اليهود ، والنصارى ويبلغ ثمن الواحد منها عشرين دينارا الى اربعين (١١٧) .

وكما تحدث عن « الحمير » كذلك تحدث عن «البقر » فهي عظيمة الخلق ، حسنة الصور ولعل احسن انواعها واغلاها قيمة « البقرة الخيسية » وهي ذوات قرون كانها القسي لغزيرات اللبن .

اما خيلها فعتاق سابقة يبلغ الثمن الواحدة منها الف دينار الى اربعة الاف دينار وهكذا نجد البغدادي مستطردا يتنقل بين الحيوانات من صنف الى صنف فيتجاوز هذا الصنف ويحدثنا عن التماسيح وانها كبيرة في النيل وخاصة في الصعيد الاعلى ، (١١٨) ، وينقلنا من التماسيح الى الحيتان واهم انواعها « الدلفين » وحجمها الكبير . ثم يتطرق الى المخلوقات البحرية الكثيرة فيذكر فرس البحر وهو حيوان عظيم الصورة ، هائل المنظر وربما يتبع المراكب ويغرقها . ومن الاسماك التي تحدث عنها البغدادي السمكة المعروفة بـ « الرعاد » لان من مسكها وهي حية ارتد جسمه وانتابه خدر شديد والحق انه المؤلف حدثنا في هذا الفصل عن انواع عجيبة غريبة من الاسماك ليس معروفة عندنا في العراق . ويعلق احد الباحثين على الفصل الثاني والثالث بقوله : ان الفصلين الثاني والثالث يصفان نباتها وحيوانها وقد انبتت الابحاث الخاصة في تاريخ النبات انهما يحتويان على معطيات ذات قيمة كبيرة » (١٢٠) والحق ان البغدادي عندما يتحدث عن اي جانب من جوانب حياة مصر ، سواء اكان ذلك متعلقا باوصافها العامة ، ام نباتها ام حيواناتها يتحدث وهو متمكن من نفسه .

اما الفصل الرابع :

فقد تناول فيه البغدادي اثار مصر القديمة ولعل اهم تلك الاثار هي الاهرام فقد وصفها واسهب في وصفها ووقف مندهشا امام هندستها وعمارتها وذكر ان الشعراء قد نعتوها لاسيما الهرمين العظيمين منها وشبهوها بنهدين قد نهدا في صدر الديار المصرية والحق ان هذه الاهرام تعد من العجائب في بنائها المحكم الذي عجز الزمن ان ينال من بهجتها شيئا ثم تطرق الى بعض الجهلة في هدمها بحثا عن الكنوز ، وسميا وراء الذهب المدفون مع الموتى ، ويرى الباحث البغدادي ينتقل في معالم هذه الديار فيصف الاثار بمدينة عين شمس ويتطرق الى المسلتين العظيمتين اللتين تسميان مسلتي فرعون ، زد الى ذلك المسال المبعثرة هنا وهناك في هذه المدينة ثم يذكر انه راى بالاسكندرية مسلتين على سيف البحر في وسط العمارة اكبر من هذه الصغار . واصغر من العظيمتين (١٢١) . اما حديثه عن البرابي فانه يذكر ان الحكاية في عظمتها واتقان صنعتها واحكام سورها وعجائب ما فيها من الاشكال والنقوش والتصاوير الخطوط مع احكام البناء وجفاء الالات والاحجار مما يفوت الحصر وهي من الشهرة بحيث تغني عن الاطالة في الصفة (١٢٢) .

ثم يرى الباحث البغدادي يرجع مرة اخرى الى الاسكندرية يتحدث عن عمود السواري ويذكر انه راى اكثر من اربعمائة عمود مكسرة انصافا واثلاثا ثم يتحدث عن منارتها العظيمة،

---

(١١٣) مجلة التراث الانسانية ـ المجلد الاول ، العدد الثاني سنة ١٩٦٥ ص ١٢٠ ـ ١٢١ .
(١١٤) الافادة والاعتبار ص ٨٥ من هذا التحقيق .
(١١٥) الافادة والاعتبار ص ٩٢ من هذا التحقيق .
(١١٦) الرحالة المسلمون في القرون الوسطى ص ١١٣ .
(١١٧) الافادة والاعتبار ص ٩٧ من هذا التحقيق .
(١١٨) الافادة والاعتبار ص ٩٧ من هذا التحقيق .
(١١٩) المصدر نفسه ص ١٠٣ من هذا التحقيق .
(١٢٠) الادب الجغرافي العربي ١\٢٤٥ .
(١٢١) انظر الافادة والاعتبار ص ١١٥ من هذا التحقيق .
(١٢٢) المصدر نفسه ص ١١٥ من هذا التحقيق .

وعجب صنعتها وفنها حيث ان طولها بلغ مائتين وخمسين ذراعا . ثم يذكر مدينة « منف » عاصمة الفراعنة وبعد ان يصفها يتطرق الى البيت المسمى بالبيت الاخضر ، فينعته بقوله « كلما زدته تاملا زادك عجبا ، وكلما زدته نظرا زادك طربا ومهما استنبطت منه معنى انباك بما هو اغرب ومهما استترت منه علما دلك على ان وراءه هو اعظم (١٢٣) .

انه تمت مصور احكم صنعته. ويرى الباحث في هذا الفصل ان البغدادي قد وصف الاصنام وكثرة عددها وعظم صورها وان التحدث عن هذه الاصنام يفوت الوصف ويتجاوز التقدير، اما اتقان اشكالها واحكام هيأتها والمحاكاة بها الامور الطبيعية فموضع التعجب بالحقيقة (١٢٤) .

وبعد ذلك يتحدث البغدادي عن المقابر المملوءة بجثث الموتى المحنطة بشكل عجيب وكذلك من اعجب ما يوجد في مدافنهم اصناف الحيوان من الطير والوحش والحشرات وقد حفظت هذه المحفوظات بشكل عجيب دون ان تنال منها يد الثرى شيئا . والفصل نفسه هو الذي يفصح ما فيه بكل وضوح .

اما الفصل الخامس :

فقد تحدث فيه البغدادي عن الابنية ، وبراعة الهندسة فيها فذكر ان غالب سكناهم في الاعالي وانهم يجعلون منافذ منازلهم تلقاء الشمال والرياح الطيبة على حد تعبيره وهذه المنازل تبنى بالحجر المنحوت والآجر الاحمر ثم يتحدث عن حماماتهم فيذكر انه لم يشاهد في البلاد اتقن منها وصفا ولا اتم حكمة ولا احسن منظرا ومخبرا ثم يستمر في وصف هذه الحمامات وكأنه خبير في صناعة العمارة ، وجودة البناء ، ثم ينتقل من بناء الحمامات الى بناء السفن فيذكر ان سفنهم كثيرة الاصناف والاشكال واغرب ما راى فيها مركبا يسمونه « العشرى » وهو مصنوع من الخشب ثمينة محكمة البناء يكاد يكون تحفة حتى ان الملوك والرؤساء يتخذونه متنزها في اوقات راحتهم نزهاتهم هذا ما تناوله البغدادي في هذا الفصل وهو من الفصول المقتضبة عنده .

اما الفصل السادس :

فقد تحدث فيه البغدادي عن مراتب الاطعمة وانواعها واشكالها ومنها « النيدة وهي بمنزلة الخبيص حمراء الى السواد وهي حلوة لا في الغاية .

ثم يتحدث عن انواع الطعام حلوها ، وطبيها ولذيذها ، واما المحللات فانواع كثيرة فانهم يتخذون من الدجاج اصنافا من الحلويات ، ويرى البغدادي يشرح لك صناعة هذه الحلوى او تلك ، ثم يذكر عن الحلويات المتخذة من السكر فانها اصناف كثيرة يؤدي استقصاؤها الى الخروج عن الغرض ويحتاج المرء الى وضع كتاب مفرد لها على حد تعبيره ومن هذه الاصناف ، حلوى القطن والجزر ، وحلوى الوردية ، والزنجبيلة وما الى ذلك ، ومما لا شك فيه ان هذه الانواع تتمتع به الطبقة الغنية من الشعب المصري . اما عوامهم فقلما يعرفون شيئا من ذلك واكثر اغذيتهم كما يقول ، الصير ، والصحناة ، والخبز ، والنيدة . وما الى ذلك وهو فصل اكثر اختصارا من سابقة .

اما المقالة الثانية :

وهي تقع في ثلاثة فصول .

الفصل الاول : يتحدث فيه عن النيل وزيادته ونقصانه وما يترتب على تلك الزيادة او ذلك النقصان . ويذكر البغدادي ان نهاية ما تدعو اليه الحاجة من الزيادة ثمانية عشر ذراعا فان زاد عن ذلك فانه يروى حتى الاراضي المرتفعة بذلك يتغذى الزرع حتى اوان حصاده ولعل اعلى زيادة حصلت للنيل سنة ست وتسعين وخمس مائة حيث بلغت اثني عشر ذراعا وواحدا وعشرين اصبعا هذه زيادة يندر حدوثها . ومما لا شك فيه ان مثل هذه الزيادة تكون عاملا مهما لاستغلال اكبر قدر من الاراضي الصالحة للزراعة وعندها يعم الخير المنشود .

ويرى الباحث البغدادي في هذا الفصل ان الاخير يحاول ان يقرن تلك الزيادة والنقصان بعلم الفلك والتنجيم والرهما على النيل وهو يتحدث عن ذلك بلغة العالم الخبير . غير انه يذكر امورا تقرب الى الاساطير وهو نفسه غير مؤمن بها فيقول : « فان اقباط الصعيد يزعمون انهم يتكهنون على مقدار الزيادة في السنة من طين معلوم الوزن ينجمونه في ليلة معروفة ويزنونه غدوة فيجدون قد زاد فيحكمون من قد زاد فيحكمون من مقدار زيادته على مقدار زيادة النيل ، وقوم يتكهنون من حمل النخل ، وقوم من تعسيل النحل (١٢٥) ، وهذه حكايات لا يؤمن بها الباحث ، والمعروف ان زيادة النيل او غيرها من الانهار في العالم يتوقف على ظواهر طبيعية معروفة كزيادة سقوط الامطار وما الى ذلك . ومن الطريف ان نجد البغدادي في هذا الفصل وكأنه العالم الملم بالجغرافية الطبيعية والاقتصادية .

اما الفصل الثاني :

فانه يتحدث فيه عن حوادث سنة سبع وتسعين وخمسمائة. فيذكر البغدادي ان هذه السنة تعد مفترسة لارواح الحياة بالنسبة للشعب المصري . فقد يأس الناس من زيادة النيل وارتفعت الاسعار وعم القحط ، وشعر الناس بالبلاء المحتم الذي لا مفر منه . وانفضى اهل السواد والريف الى امهات المدن ، وانجلى كثير منهم الى الشام والمغرب والحجاز واليمن، وتفرقوا في البلاد ومزقوا كل ممزق . وهرع الى القاهرة خلق كثير . وحل المرض والموتان ، فاشتد بالفقراء الجوع حتى انهم اكلوا الميتات والجيف ، والكلاب ، والبغر والارواث وانهم تجاوزوا ذلك الى انهم اكلوا صغار بني آدم . فكثيرا ما يعثر المرء على بعض الرجال وممهم صغار مشوية او مطبوخون(١٢٦) وهكذا بدا الناس ياكلون بعضهم بعضا من هذا البلاء الذي حل بهم . وقد تحدث البغدادي باسهاب عن اختطاف الاطفال ليكونوا مادة للطعام وعن موت الفقراء باعداد كثيرة ، كما ان البغدادي يحدثنا عن هؤلاء الحشاشين من بعض الناس باصناف الحبائل ، وبجلبوتهم الى اماكنهم بانواع المخاتل وغير ذلك

(١٢٣) الافادة والاعتبار ص ١١٦ من هذا التحقيق .
(١٢٤) المصدر نفسه ص ١١٩ من هذا التحقيق .
(١٢٥) الافادة والاعتبار ص ١٥٣ من هذا التحقيق .
(١٢٦) الافادة والاعتبار ص ١٥٩ من هذا التحقيق .

حتى الى الاطباء . والحق ان ما يصفه البغدادي من هول المنظر وبشاعة الحوادث ما تقشعر له الابدان وتشمئز له النفوس ، ويندى لها الجبين . الامر حدا باحد الباحثين ان يذكر عن هذه الحوادث التي وصفها البغدادي بانها حوادث رهيبة ، وقحط هائل ، ووباء مروع اجتاحت مصر .

وان نزعة عبداللطيف البغدادي العلمية كطبيب دفعته الى الاحتفاظ بقوة ملاحظته ورباطة جاشه ، فهو يصف لنا بهدوء وبدقة تامة الحالات الرهيبة لاكلي لحوم البشر وكيف وجدت جثث هؤلاء المجرمين ماكولة في الصباح . وفي جميع هذه الظروف المروعة لم يفقد عبداللطيف حب الاستطلاع وروح البحث المتاصلين لديه (١٢٧) .

نعم لقد وصف البغدادي هذه الحوادث بعبارة متينة واسلوب آخاذ انه رسام يستطيع ان يرسم الصورة مشفوعة باحساسه وشعوره بكل دقة وامانة .

اما الفصل الثالث :

فقد تحدث فيه البغدادي عن حوادث سنة ثمان وتسعين وخمسمائة وهذه السنة لا تقل عن سابقتها فقد تناقص موت الفقراء لقتلهم وقل خطف الاطعمة من الاسواق وذلك لفناء الصعاليك وقلتهم في المدينة . لقد انحطت الاسعار حتى عاد سعر الاردب بثلاثة دنانير لقلة الاكلين لا لكثرة المأكول . لقد تناقص الناس وشحت المواد في الاسواق وحتى الف الناس هذا البلاء وحسبوه مزاجا طبيعيا ويقول البغدادي « وحكى لي انه بمصر تسع مائة منسج للحصر فلم يبق الا خمسة عشر منسجا . وقس على هذا سائر ما جرت العادة ان يكون بالمدينة من باعة وخبازين وعطارين واساكفة وخياطين وغير ذلك من الاصناف فانه لم يبق من كل صنف من هؤلاء الا نحو ما بقي من منسجي الحصر او اقل من ذلك (١٢٨) .

لقد عم القحط في البلاد على نحو ما اشرنا اليه في السنة السابقة . ولم تعد المواد الغذائية متوفرة في الاسواق فاما الدجاج فقد عدم راسا لولا انه جلب منه شيء من الشام واما الافران فانها توقد باخشاب الدور وكثيرا ما تفتقر الدار بمالكها فلا يجد لها مشتريا ، فيفصل اخشابها وابوابها ويعرضها للبيع وتظل الدار مهدمة خربة .

لقد خلت الضواحي، وسائر البلاد من الناس حتى اصبحت بيابا لاسكان فيها لذلك بقيت الاملاك العالية الثمن وجيدة الاجر ، خالية من الناس وعنوا بسد ابوابها وتحصين مسالكها . لقد ازداد البلاء عما في السنة السابقة وانتشر الموت، ويذكر البغدادي : ـ

ان الذي دخل تحت الاحصاء من الموتى ممن ... جرى له اسم في الديوان في مدة اثنين وعشرين شهرا اولها شوال من سنة ست وتسعين وآخرها رجب من سنة ثمان وتسعين مائة واحد عشر الفا من النفوس ويذكر البغدادي ان هذا مع كثرته نزر في حسين الذين هلكوا في دورهم او في اطراف المدينة او الحيطان او من هلك في سائر البلاد والنواحي والطرقات،

(١٢٧) تاريخ الادب الجغرافي العربي ١\٢٤٦ .
(١٢٨) الافادة والاعتبار ص ١٧٣ من هذا التحقيق .

وخاصة طريق الشام . وترى البغدادي يتحدث عن هذه المساوىء المؤلمة باسهاب واطناب . زد الى هذا البلاء حدوث الزلازل ، التي حدثت في بلاد الشام وما جاورها ، والوبلات التي رافقتها من تخريب العمارات وما الى ذلك (١٢٩) .

ومن الطريف في هذا الفصل ان نذكر ان البغدادي قد عنى بالعظام والرمم المنتشرة هنا وهناك لانها من صميم اختصاصه كطبيب ، وهذه العناية اوصلته الى بعض الحقائق العلمية ، حيث انه استطاع ان يدحض بعض اراء جالينوس من تركيب العظام واستمع اليه يقول : ـ

« فمن ذلك عظم الفك الاسفل فان الكل قد اطبقوا على انه عظمان بمفصل وثيق عن الحنك وقولنا الكل انما نعني به ها هنا جالينوس » وحده هو الذي باشر التشريح بنفسه وجعله دأبه ونصب عليه وصنف فيه ... والذي شاهدناه من حال هذا العضو انه عظم واحد وليس فيه مفصل ولا درز اصلا ـ واختبرناه ـ ما شاء من المرات في اشخاص كثيرة تزيد على الفي جمجمة باصناف من ـ الاختبارات فلم نجده الا عظما واحدا من كل وجه ثم اننا استعنا بجماعة متفرقة ـ اختبروه ـ بحضرتنا وفي غيبتنا فلم يزيدوا على ما شاهدوه منه وحكيناه » هذا كل ما يتعلق بهذا الفصل الذي يفصح عن نفسه بكل وضوح في بابه المحقق .

مطبوعاته :ـ

لقد اشار الباحث الى ان « بوكوك » جلب مخطوطة كتاب « الافادة والاعتبار » من الشرق منذ القرن السابع الهجري ، واودعها في « مكتبة بودلين Bodleian Library في جامعة اكسفورد في لندن (١٢١) . وقام بوكوك « بترجمته الى اللاتينية غير انه لم يستطع نشره . ولما جاء « هايد » نشره متنا وترجمة في « اكسفورد سنة ١٧٠٢ م » (١٢٢) وبعد سنوات ظهرت الطبعة التي اعدها « وايت » سنة ١٧٨٩ م ونشر الكتاب في المانيا في مدينة « كوبنجن » (١٢٣) » ثم اعيد متنه مرة ثانية عام ١٨٠٠ م في وباللغة اللاتينية ، باسم « مختصر اخبار مصر » المسمى « الافادة والاعتبار بما في مصر من الآثار » ، وفيه ترجمتان ، ترجمة لابن جلجل (١٢٤) ، وترجمة لعبد اللطيف البغدادي نقلا عن « عيون الانباء من طبقات الاطباء » لابن ابي اصيبعة ،

(١٢٩) الافادة والاعتبار ص ١٧٥ ، ١٧٧ من هذا الكتاب المحقق .
(١٣٠) المصدر نفسه ص ١٨٢ من هذا التحقيق .
(١٣١) تاريخ الادب الجغرافي العربي ١\٣٤٥ .
(١٣٢) المستشرقون ٢\٤٦٩ .
(١٣٣) تاريخ الادب العربي ، الملحق ١/٨٨٠ « لبروكلمان » وانظر معجم المطبوعات العربية والمعربة ٢\١٢٩٣ .
(١٣٤) ابن جلجل : هو ابو داود سليمان بن حسان يعرف بابن جلجل وكان طبيبا فاضلا خبيرا بالمعالجات ، جيد التصرف في صناعة الطب . انظر ترجمته في « عيون الانباء في طبقات الاطباء ص ٤٩٣ .

وبعد سنوات عقد « ساسي » على هذا الكتاب دراسة علمية مصحوبة بالشروح والتعليقات باللغة الفرنسية مع الاحتفاظ بالنص العربي ونشره سنة ١٨١٠ م (١٢٥) مع ترجمة لعبداللطيف البغدادي ، ولابن جلجل نقلا عن كتاب عيون الانباء في طبقات الاطباء (١٢٦) .

واعتمادا على « طبعة ساسي » نشر الكتاب في القاهرة في مطبعة النيل سنة ١٢٨٦ هـ ١٨٦٩ م مع ترجمته لعبداللطيف البغدادي ولابن جلجل نقلا عن كتاب عيون الانباء في طبقات الاطباء . وبعد خمس وستين سنة نشره سلامة موسى باسم « عبداللطيف البغدادي في مصر » سنة ١٩٣٢ م في القاهرة في مطبعة المجلة الجديدة مع ترجمة لعبد اللطيف نقلا عن عيون الانباء . وان هاتين الطبعتين الاخيرتين ، هما طبعتان تجاريتان ، وهما مملوءتان بالاخطاء . والتحريف ، والتصحيف . وبعد ثلاثين سنة ظهرت الترجمة الانكليزية لكتاب « الافادة والاعتبار » مع الاحتفاظ بالنص العربي المصور عن المخطوطة الاصلية ، والمحفوظة في مكتبة بودلن » بجامعة اكسفورد كما اشرت . وقد قام بهذه الترجمة من النص العربي الى اللغة الانكليزية كل من ـ كمال حافظ زند ـ و ـ جون آي ـ و ـ آيفي اي فيديان ، وطبع الكتاب في لندن سنة ١٩٦٤ م .

المخطوطة :

لقد اعتمد كل من كمال حافظ زند ، وجون آي ، وايفي اي فيديان على المخطوطة الاصلية المحفوظة في مكتبة بودلن في جامعة اكسفورد ، وصور النص العربي ، ثم ترجموها الى اللغة الانكليزية مع الاحتفاظ بالنص العربي المصور وطبع هذا الكتاب في لندن سنة ١٩٦٤ م . وعلى هذه المخطوطة المصورة اعتمد الباحث في تحقيق هذا الاثر .

وصفها :

ان اول ما يطالع الباحث في الصفحة الاولى عنوان الكتاب وهو : ـ

« كتاب الافادة والاعتبار في الامور المشاهدة والحوادث المعاينة بارض مصر » . تاليف الفقير الى الله عز وجل عبداللطيف بن يوسف بن محمد البغدادي وفقه الله لطاعته .

وفوق هذا العنوان يرى الباحث ما يلي :

par 230

وان الكلمة الانكليزية (Par) وهي مختصر (Part) اي قسم باللغة العربية مع الرقم (٢٢٠) يعنيان رمز المخطوطة في المكتبة المشار اليها . ونحت عنوان المخطوطة بمسافة مقبولة وعلى وجهة اليمين كتابة مضى عليها الزمن لم يقو الباحث على قراءتها وهي ليست من صميم النص ولا تمت اليه بصلة ويبدو انها من التوقيعات المعروفة ان صح هذا التعبير .

جاءت هذه المخطوطة في سبعين ورقة من الاوراق المتوسطة الحجم وتحتوي كل صفحة من صفحاتها على ثلاثة عشر سطرا وكل سطر يحتوي على عشر كلمات تزيد او تنقص حسب ما تمليه طبيعة المخطوطة نفسها . وقد اعطوا لهذه الصفحات رموزا وبدأوا من عنوان الكتاب المترجم باللغة الانكليزية ورمزوا له "2 L" " و L " تعني "Left" اي يسار اي انهم رمزوا للصفحة الاولى لكل رقة بالحرف (r) اي "right" ومعناه يمين . والصفحة الثانية رمزوا لها بالحرف "L" ثم رمزوا لمقدمة المخطوطة بـ "3 r" اي الصفحة الثالثة من جهة اليمين واستمروا على هذا النهج حتى اخر المخطوطة .

اما الباحث فقد استعمل الحروف العربية فرمز لعنوان المخطوطة بـ (٢ب) ولمقدمتها بـ (٣) وهذا هذا الخط حتى آخر المخطوطة .

لقد وجد الباحث صعوبات جمة في هذه المخطوطة . منها ان المؤلف يستعمل كلمات عربية في درجة عالية من الفصاحة مثل آريا ، والتوربب ، والاسافه ، والضفابيس ، وغيرها من الكلمات التي لا تقع تحت حصر ، وقد انجدت المعاجم اللغوية الباحث في توضيح هذه الكلمات وغيرها من الكلمات الاخرى التي وقعت في تضاعيف هذا الاثر .

كما ان المؤلف يستعمل كلمات غير فصيحة وربما تكون اشبه بالعامية مثل الاسافين ، والاخثال ، والحبالبس ، وشبارة ، هذه الكلمات لم تتناولها المعاجم اللغوية ، لذلك يظل الباحث في حيرة من امره . وبالرغم من ذلك يستمر يفتش في مظان المصادر ، ولكن دون جدوى ، وبعد لأي وجهد متواصلين قد يحظى بتعاريف بعضها ، وبعض منها يظل سائبا بلا تعريف . اما خط المخطوطة فواضح غير ان المؤلف قد يرسم ثلاثة بـ « ثلثة » ، وثلاث مرات مثلا بـ « ثلث » مرات ومن هذا النوع شيء كثير .

توثيق نسبة الكتاب :ـ

من نافلة القول ان يتحدث الباحث عن نسبة الكتاب لمؤلفه لان ذلك أمر مشهور لا يحتاج الى دليل . وبالرغم من ذلك لابد ان يقول شيئا .

لقد ذكر ابن ابي اصيبعة وهو ثقة ومعاصر للمؤلف كما اسلفت بان موفق الدين البغدادي لما كان في مصر ورأى ذلك الغلاء العظيم والموتين المروعين الف كتابا سماه « كتاب الافادة والاعتبار في الامور المشاهدة والحوادث المعاينة بارض مصر » (١٢٧) . وقال ابن اصيبعة ايضا « والذي وجدته من خطه اشياء كثيرة جدا بحيث انه كتب من مصنفاته نسخا متعددة ..... وكان رحمه الله ... جيد العبارة وكانت مسطرته ابلغ من لفظة (١٢٨) . غير انه لم يذكر بانه راى الكتاب الافادة نفسه . كما ان الصفدي المتوفى سنة ٧٦٤ هـ ذكر جملة من مؤلفات البغدادي ومنها كتاب الافادة في اخبار

(١٢٥) انظر تاريخ الادب الجغرافي العربي ١\٢٤٥ .
(١٢٦) معجم المطبوعات العربية والمعربة ٢\١٢٩٣

(١٢٧) عيون الانباء في طبقات الاطباء ص ٦٨٩ .
(١٢٨) المصدر نفسه ص ٦٨٣ .

مصر (١٣٩) . زد الى ذلك ان « بوكوك » قد جلب مخطوطة هذا الكتاب من الشرق في القرن السابع عشر وانها كانت بخط البغدادي نفسه ، وحفظ هذا المستشرق المخطوطة ـ في مكتبة بودلين ـ في جامعة اكسفورد ثم ترجمها الى اللاتينية ، وبعد ذلك نشرها « هايد ووايت وساسي » باللغات الاجنبية ، ثم طبع كتاب الافادة والاعتبار مرتين باللغة العربية كما اشرت الى ذلك . اضف الى ما تقدم ان بروكلمان ذكر هذه المخطوطة في كتابه « تاريخ الادب العربي »(١٤٠) ، كما ان « كراتشكوفسكي » اشار الى هذا الكتاب في سفره تاريخ « الادب الجغرافي العربي » (١٤١) ، واخيرا صدرت رسالة علمية موسومة بـ « المجرد للغة الحديث » (١٤٢) لعبداللطيف البغدادي وقد نصت هذه الرسالة على ذكر كتاب « الافادة والاعتبار » . وكل هؤلاء الباحثين نسبوا الكتاب الى البغدادي وفوق كل ذلك ان المخطوطة التي قمنا بتحقيقها كانت بقلم البغدادي (١٤٣) نفسه كما اشرت مدة مرات في هذا الموضع وفي تضاعيف هذه الدراسة المتواضعة . وبعد هذا التوثيق كله والاطمئنان لصحة الكتاب لمؤلفه . توكل الباحث على الله سبحانه وتعالى فشرع في تحقيق هذا الاثر .

---

(١٣٩) الوافي بالوفيات ٢\ ٢٥٤ ـ ٢٥٥ .

(١٤٠) تاريخ الادب العربي ١/٦٣٢ « لبروكلمان » .

(١٤١) تاريخ الادب الجغرافي العربي ١\٢٤٥ .

(١٤٢) المجرد للغة الحديث ١\٤٨ .

(١٤٣) الافادة والاعتبار ١٨٥ من هذا التحقيق .

منهجنا في التحقيق :ـ

اتبعت في تقويم النص ما يلي : ـ

١ ـ حاولت ان اضبط النص بقدر المستطاع مستعينا بالكتاب المطبوع احيانا .

٢ ـ عرفت باسماء المدن مستعينا بمعجم البلدان والكتب الاخرى .

٣ ـ وضعت الكلمات الساقطة بين معكوفتين واشرت اليها بالهوامش .

٤ ـ عملت على ضبط الكلمات المعرفة فاثبت كلمة اختصاص مثلا في الاصل بدلا عن كلمة (اقتصاص) . واشرت بذلك الى الهوامش .

٥ ـ عرفت بالاعلام واعطيت ترجمة مقتضبة عن حياة كل منهم.

٦ ـ فسرت الكلمات الصعبة وما اكثرها في هذه المخطوطة مستعينا بلسان العرب وغيره .

٧ ـ وردت في المخطوطة كلمات في اسماء النباتات كثيرة غير مالوفة لدى المحقق لذلك شرحها وضبطها مستعينا ببعض كتب النبات والمعاجم اللغوية .

٨ ـ لقد خرجت الايات القرآنية الشريفة في هذا النص وعملت على ضبطها .

٩ ـ لقد عملت على توضيح اسماء اطعمتها الغريبة وحلواها المتنوعة مستعينا بالمعجم الوسيط حينا ومعجم الاطعمة واللسان حينا آخر .

١٠ـ واخيرا عملت فهارسا فهرسا لمحتوى الكتاب وفهرسا للنبات والحيوان الاطعمة وفهرسا للاقطار والمدن والامكنة الاخرى فهرسا لاعلام الرجال وفهرسا للمصادر .

هذا هو منهجنا في التحقيق والله من وراء القصد .

WWW.ATTAWEEL.COM

النص

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلواته على خاتم النبيين محمد النبي العربي وعلى آله الطاهرين •

وبعد فاني لما انهيت كتابي في اخبار مصر المشتمل على ثلاثة عشر[1] فصلا رأيت ان أفرد منه حوادث الحاضرة ، والاثار البادية المشاهدة ،اذ كانت اصدق خبرا ، وأعجب أثرا ، وأن ما عداها قد يوجد بعضه او كله في كتب من سلف مجتمعا،او متفرقا ذلك في فصلين منه فجردتهما وجعلتهما مقالتين في هذا الكتاب • وزدت ونقصت بحسبما اقتضته الحال رجاء ان يخف انهاؤه ، ويلطف موقعه عند عرضه على صاحب الامر وامام العصر امام الانام ومفترض الطاعة بموجب شريعة الاسلام خليفة الله في أرضه ، ومنتهى مقر وحيه،والقيم على العالم بامضاء أمر الله تعالى فيهم ونهيه سيدنا ومولانا الامام الناصر لدين الله[2]أمير المؤمنين ذي المواقف المقدسة النبوية /٣ أ/ الطاهرة الزكية المجددة المعظمة الاماميةالباهرة أنوارها ، الزاهرة آلاؤها نهارا وليلا[3] ، ينطوي عن العلوم الشريفة شيء من اخبار بلادهوان تراخت • او يخفى بعض احوال رعاياه ، وان تناءت • وليعلم حفدة سدته ، وخواص دولته ،والعاكفون بحضيرة قدسه ، والطائفون بحرم كعبته مقدار ما يدافع الله تعالى عنهم ، به ،فيزداد والله تعالى شكرا ليزيدهم بدوام دولة أمير المؤمنين عليهم فضلا « وما كان الله يعذبهموانت فيهم »[4] وعلى العبد القرب بالانهاء وان كانت العلوم النبوية اليها الانتماء •

فان الله سبحانه تعبد ان يدعي جهرا ، وان كان يعلم السر واخفى ليظهر على الجوارح ما تكن الضمائر فيكمل للمرء المسلم مراتب الايمانالثلاثة[5] عقد بالقلب وقول باللسان ، وعمل بالجوارح •

---

(١) في الاصل تلثه « وكتاب اخبار مصر » ذكره ابن ابي اصيبعة . انظر / عيون الانباء في طبقات الاطباء ٦٩٤ .

(٢) هو صلاح الدين يوسف بن ايوب الملقب بالملك الناصر ، من اشهر ملوك الاسلام ؛ ولد سنة ٥٣٢ هـ بتكريت ؛ وتوفي سنة ٥٨٩ هـ ؛ في دمشق انظر ترجمته في/وفيات الاعيان ٢/٢٧٦ وتاريخ ابن خلدون ٤/٧٩ .

(٣) اسقطت في الاصل

(٤) سورة الانفال ٨/٣٣

(٥) في الاصل (الثلث)

WWW.ATTAWEEL.COM

جعلنا الله ممن ترقى الى هــذه الدرجة في طاعته بطاعة خليفته في ارضه صلوات الله عليه وعلى الخلفاء الراشدين من قبله •

وعلى سيد المرسلين افضل صلاة[٦] رب العالمين ؛ صلاة دائمة الى يوم الدين •

احصــاء فصول الكتاب

المقالة الاولى وهي ستة فصول

الفصل الاول : في خواص مصر العامة لهــا •
الفصل الثاني : فيما تختص به من النباتات •
الفصل الثالث : فيما تختص به من الحيوان •
الفصل الرابع : في اختصاص[٧] ما شوهد من آثارها القديمة •
الفصل الخامس : فيما شوهد بها من غرائب الابنية والسفن •
الفصل الســادس : في غرائب اطعمتها •

المقالة الثانية وهي ثلاثة[٨] فصول

الفصل الاول : في النيل وكيفية زيادته واعطاء علل ذلك وقوانينه•
الفصل الثاني : في حوادث سنة خمس وتسعين وخمسمائة •
الفصل الثالث : في حوادث سنة ثمان وتسعين وخمسمائة • / ١٤أ /

---

(٦) في الاصل (صلوة)
(٧) في الاصل « اقتصاص »
(٨) في الاصل « ثلثــة »

بسم الله الرحمن الرحيم

المقالة الاولى وهي ستة فصول .

الفصل الاول

في خواص مصر العامة لها

ان ارض مصر من البـلاد العجيبة الاثار الغريبة الاخبار . وهي واد يكتنفه جبلان شرقي وغربي ، والشرقي اعظمهما . يبتديان من اسوان ويتقاربان بأسنا[٩] حتى يكادا يتماسان ثم ينفرجان قليلا كلما امتد طولا انفرجا عرضا حتى اذا آزيا[١٠] القسطاط[١١] كان بينهما مسافة يوم فمـا دونه ثم يتباعدان اكثر من ذلك والنيل ينسـاب بينهمـا ويتشعب بأسافل الارض وجميع شـعبه تصب في البحر المالـح[١٢] .

وهذا النيل له خاصتان . الاولى ــ بعـد مرماه . فانا لا نعلم في المعمورة نهرا أبعد مسافة منه لان مباديه عيون تأتي من جبل القمر[١٣] ،وزعموا ان هذا الجبل وراء خط الاستواء باحدى عشرة درجة وعرض اسوان وهي مبدأ ارض مصر اثنتان وعشرون درجة ونصف درجة . وعرض دمياط / ٤ ب / وهي اقصى ارض مصر احدى وثلاثون درجة وثلث درجة . فتكون مسافة النيل على خط مستقيم ثلاثا واربعين درجـة تنقص سدسا ومساحة ذلك تقريبا تسع مائة فرسخ[١٤] هذا سوى ما يأخذ من التعاريج والتوريب[١٥] فان اعتبر ذلك تضاعفت المساحة جدا .

---

(٩) اسنا : مدينة تقع على الجانب الايسر مـن النيل انظر / صورة الارض ١٢٧ .

(١٠) آزيا : تدانى . انظر / اللسان مادة (آزا) ١٨/٣٣ .

(١١) الفسطاط : مدينة بناها عمرو بن العاص في سنة ٢٠ هـ انظر / معجم البلدان : باب الفـاء والسين وما يليهمـا ٤/٣٦٤ ، والبلدان / ص ٨٦ .

(١٢) البحر المالح : هو البحر المستطيل الممتد من الشمال الى الجنوب على الطريـق الشرقي مـن جنوبي فلسطين ، وقد ورد ذكره بعدة اسماء في العهد القديم ، البحر الشرقي ، والبحر الدولي ويسمى البحر الميت ويسمى الان بحر لوط .
انظر / العرب واليهود في التاريخ ص ٤٥٤ .

(١٣) جبل القمر : يقع بالقرب من البطيحة الاولى والبطيحة الثانية وهما قريبتان من خط الاستواء.
انظـر / كتاب صورة الارض ص ١٤٠ .

(١٤) الفرسخ : وحدة قياسية وهو ثلاثة اميال او ستة . انظر / اللسان مادة « فرسخ » ٤/١٢ .

(١٥) التوريب : الورية الجفرة في اسفل الجنب . التوريب : ان توري عـن الشـيء بالمعارضات .
انظر / اللسـان مادة « ورب » ١/٢٩٦ .

WWW.ATTAWEEL.COM

والخاصة الثانية ــ انه يزيد عند نضوب سائر الانهار ونشيش[١٦] المياه لانه يبتدى بالزيادة عند انتهاء طول النهار وتتناهى زيادته عند الاعتدال الخريفي[١٧] وحينئذ تفتح الترع وتفيض على الاراضي. وعلة ذلك ان مواد زيادته امطار غزيرة دائمة وسيول متواصلة تمده في هذا الاوان فان امطار الاقليم الاول والثاني انما تغزر في الصيف والقيظ .

واما ارض مصر فلها ايضا خواص منها انه لا يقع بها مطر الا مالا احتفال به وخصوصا صعيدها فأما اسافلها فقد يقع بها مطر جود[١٨] لكنه لا يفي بحاجة الزراعة . وأما دمياط والاسكندرية وما داناهما فهي غريزة المطر ومنه يشربون وليس بارض مصر عين / ٥ أ / ولا نهر سوى نيلها .

ومنها ان ارضها رملية لا تصلح للزراعة لكنه يأتيها طين اسود علك فيه دسومة كثيرة يسمى الابليز يأتيها من بلاد السودان مختلطا بماء النيل عند مده فيستقر الطين وينصب الماء فيحرث ويزرع . وكل سنة ياتيها الطين الجديد لهذا يزرع جميع اراضيها ولايراح منها كما يفعل في العراق والشام لكنها يخالف عليها الاصناف وقد لحظت العرب ذلك فانها تقول اذا كثرت الرياح جادت الحراثة لانها تجيء بتراب غريب وتقول ايضا اذا كثرت المؤتفكات[١٩] زكا الزرع .

ولهذه العلة تكون ارض الصعيد زكية كثيرة الاتاء والرّيع اذا كانت اقرب الى المبدأ فيحصل فيها من هذا الطين مقدار كثير بخلاف اسفل الارض فانها اسافة[٢٠] مضوية[٢١] اذا كانت رقيقة ضعيفة الطين لانه يأتيها الماء وقد راق وصفا . لا اعرف شبيها بذلك الا ما حكي لي

---

(١٦) نشيش المياه : ونشر الماء اذا صببته من صخرة طال عهدها بالماء . والنشيش صوت الماء وغيره اذا غلى . انظر / اللسان مادة « نشش » ٢٤٤/٨ .

(١٧) الاعتدال الخريفي : ــ هو ذلك الوقت من السنة الذي تكون فيه اشعة الشمس عند الظهر عمودية على خط الاستواء ، وفيه يتساوى الليل والنهار في جميع مناطق سطح الارض ، ويحدث في ٢٢ سبتمر وايلول تقريبا . انظر / معجم المصطلحات الجغرافية ص ٣٣ .

(١٨) مطر جود : بين الجود غزير ، وهو المطر الواسع الغزير . انظر / اللسان مادة « جود » ١١٢/٤ .

(١٩) المؤتفكات : مفردها مؤتفكة اي انها غرقت مرتين ، اد اذا انقلبت ، والائتفاك هو الانقلاب . انظر / اللسان مادة « فك » ٢٧١/١٢ .

(٢٠) الاسافة : الارض الرقيقة ، وقيل ارض اسيفة لا تكاد تنبت شيئا . انظر / اللسان مادة « اسف » ٣٤٨/١٠ .

(٢١) مضوية : الضعيفة ، والضاوي ، الضعيف الفاسد . انظر / اللسان مادة «ضوا» ٢٢٥/١٩.

عن بعض جبال الاقليم الاول ان رياح تأتيه أبانوقت الزراعة بتراب / ٥ ب / كثير ثم يقع عليه المطر فتلبد فيحرث ويزرع فاذا حصد جاءته رياح اخرى فنسفته حتى يعود اجرد كما كان اولا . ومنها ان الفصول بها متغيرة عن طبيعتها التي لها فان اخص الاوقات باليبس في سائر البلاد اعني الصيف والخريف تكثر فيه الرطوبة بمصر بمد نيلها وفيضه لانه يمد في الصيف ويطبق الارض في الخريف فاما سائر البلاد فان مياهها تنش في هذا الاوان وتغزر في أخص الاوقات بالرطوبة اعني الشتاء والربيع ، ومصر اذ ذاك تكون في غاية الفحولة واليبس ولهذه العلة تكثر عفوناتها واختلاف هوائها وتغلب على اهلها الامراض العفنية الحادثة عن اخلاط صفراوية[٢٢] وبلغمية وقلما تجد فيهم امراضا صفراوية خالصة بل الغالب عليها البلغم حتى في الشباب والمحرورين . وكثير ما يكون مع الصفراء خام . واكثر امراضهم في آخر الخريف واول الشتاء ولكنها يغلب عليها حميد العاقبة وتقل فيهم الامراض الحادة والدموية الوحية[٢٣] / ٦ أ / وأما اصحاؤهم فيغلب عليهم الترهل والكسل وشحوب اللون وكمودته وقلما ترى فيهم مشبوب اللون ظاهر الدم واما صبيانهم فضاوون[٢٤] يغلب عليهم الدمامة وقلة النضارة وانما تحدث لهم البدانة والقسامة غالبا بعد العشرين . واما ذكاؤهم وتوقد اذهانهم وخفة حركاتهم فلحرارة بلدهم الذاتية ، لان رطوبته عرضية ولهذا كان أهل الصعيد أفحل جسوما وأجف أمزجة والغالب عليهم السمرة وكان ساكنو الفسطاط الى دمياط ارطب ابدانا والغالب عليهم البياض . ولما رأى قدماء المصريين ان عمارة ارضهم انما هي بنيلها جعلوا اول سنتهم اول الخريف وذلك عند بلوغ النيل الغاية القصوى من الزيادة .

ومنها ان الصَّبا[٢٥] محجوبة عنهم بجبلها الشرقي المسمى المقطم[٢٦] فانه يستر عنها هذه الريح الفاضلة . وقلما تهب عليهم خالصة اللهم الا نكباء[٢٧] اختار قدماء المصريين ان يجعلوا

---

(٢٢) صفراوية : الصفر والصفار دور يكون في البطن وشراسيف الاضلاع فيصفر عنه الانسان جدا وربما قتله . انظر / اللسان مادة « صفر » ١٣١/٦ .

(٢٣) الوحية : السريعة ، من الوحي وهو السريع . انظر / اللسان مادة « وحي » ٢٦١/٢٠ .

(٢٤) في الاصل : « فضاويون » .

(٢٥) الصبا : ريح مهبها من موضع الشمس . انظر / اللسان مادة « صبا » ١٨٣/١٩ .

(٢٦) المقطم : بضم اوله وفتح ثانيه هو الجبل المشرف على القرافة مقبرة فسطاط مصر والقاهرة يمتد من اسوان حتى طرف القاهرة . انظر / معجم البلدان باب الميم والقاف ١٧٦/٥ « طبع دار صادر ١٩٥٧ » .

(٢٧) نكباء : كل ريح وقعت بين ريحين وهي تهلك المال وتحبس القطر . انظر / اللسان مادة « نكب » ٢٦٨/٢ .

مستقر الملك منف[٢٨] ونحوها مما يبعد عن هذا الجبل الشرقي الى الغربي / ٦ ب / واختار الروم الاسكندرية وتجنبوا موضع الفسطاط لقربه من المقطم فان الجبل يستر عما في لحفه اكثر مما يستر عما بعد منه .

ثم ان الشمس يتاخر طلوعها عليهم في هوائهم النضج ويبقى زمانا على نهوة[٢٩] الليل ، ولذلك تجد المواضع المنكشفة للصبا من ارض مصر احسن حالا من غيرها ولكثرة رطوبتها يتسارع العفن اليها ويكثر فيها الفأر ،ويتولد من الطين ، والعقارب تكثر «بقوص»[٣٠] وكثيرا ما تقتل بلسعها[٣١] ، والبق المنتن ،والذباب ، والبراغيث تدوم زمانا طويلا . ومنها ان الجنوب اذا هبت عندهم في الشتاء والربيع وفيما بعد ذلك كانت باردة جدة ويسمونها المريسي لمرورها على ارض المريس وهي من بلاد السودان وسبب بردها مرورها على برك وثنائع . والدليل على صحة ذلك انها اذا دامت أياما متوالية عادت الى حرارتها الطبيعية واسخنت الهواء واحدثت فيه يبسا / ٧ أ / .

---

(٢٨) منف : وتسمى « منفيس » ومنفس عاصمة الفراعنة القديمة قرب مدينة القاهرة باميال قليلة وقرب الاهرام الحالية . انظر / مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ٤٢/٢ ؛ وسيأتي الكلام عنها بالتفصيل في هذا التحقيق .

(٢٩) نهوة : من نهونه ، او نهونه ، والنهية غاية كل شي وآخره . انظر / اللسان مادة « نهى » ٢١٩/٢٠ .

(٣٠) قوص : مدينة تقع على الجانب الاعلى من اليمين من النيل . انظر / صورة الارض ص ١٢٦ .

(٣١) في الاصل « بلسبها » .

WWW.ATTAWEEL.COM